أروع القصص العالمية

رحلة إلى باطن الأرض

أكاديميا

أروع القصص العالمية

رحلة إلى باطن الأرض

أكاديميا

هذه المجموعة من روائع الأدب العالمي الكلاسيكية توفّر للقارىء متعةً تجعله يعيش في عالم من الإثارة والتشويق والخيال، ومرجعاً أدبياً يعين الطالب في فهم مميزات الرواية الكلاسيكية والحبكة الدرامية.

رحلة إلى باطن الأرض، قصة كتبها جول ڤيرن، ونشرت في العام 1864. وهي تروي قصة البروفسور ليدنبروك وابن أخيه أكسل، اللذين قاما برحلة مرعبة إلى جوف الأرض عبر فتحة بركان خامد.

في هذه السلسلة

- فرانكنشتاين
- الدكتور جيكل ومستر هايد
- دراكولا
- شبح الأوبرا
- 20 ألف قدم تحت الماء
- رحلة إلى باطن الأرض
- جزيرة الكنز
- روبنسون كروزو
- الحديقة السرية
- أوليڤر تويست
- نداء البراري
- بلاك بيوتي- المهر الأسود


9 789953 374284

أروع القصص العالمية

رحلة إلى باطن الأرض

كتبها بتصرُّف

بولين فرانسيس

ترجمة

فدى بركة

أكاديميا

رحلة إلى باطن الأرض

ISBN: 978-9953-37-428-4

JOURNEY TO THE CENTRE OF THE EARTH

First published by Evans Brothers Limited (a member of the Evans Publishing Group)
2A Portman Mansions, Chiltern Street, London W1U 6NR, United Kingdom

Academia International أكاديميا إنترناشيونال

P.O.Box 113-6669 ص.ب.

Beirut - Lebanon 1103 2140 بيروت – لبنان

Tel (961 1) 800811-862905 -800832 هاتف

Fax (961 1) 805478 فاكس

E-mail: academia@dm.net.lb بريد إلكتروني

www.academiainternational.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال

ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International

رحلة إلى باطن الأرض

الفهرس

مقدّمة

وُلِدَ جول فيرن Jules Verne في شمالِ فرنسا سنة 1828. وعلى غِرار والدِه، ذهَبَ إلى باريس ليدرسَ الحقوق، لكنّه بالإضافةِ إلى الدرس، بدأ يُمارِسُ ما كان يريدُه حقاً – أي الكتابة.

كتَبَ جول فيرن العديدَ من المسرحيّاتِ، وقد مُثِّلَ البعضُ منها على مسرحِ باريس. وفي العام 1857، تزوّجَ من أرملةٍ لديها ابنان يافِعان. واستمرّ بالعَمَلِ والكتابةِ لأنّه كان عليه أن يُعيلَ عائلتَه.

في سنةِ 1862، كتبَ جول فيرن أوّلَ مغامرةِ سفرٍ له، وهي "خمسة أسابيع في مِنطاد" Five Weeks in a Balloon. وسُرعانَ ما لاقت قصتُه شعبيّةً كبيرة. ومنذ ذلك الحين، أخذ فيرن يؤلِّف للناشرِ نفسِه ويُدعى "هيتزيل" Hetzel. وفي العام 1864، نُشِرت له "رحلة إلى باطن الأرض" Journey to the Center of the World. يروي هذا الكتاب قصّةَ البروفسور ليدِنبروك Lidenbrock وابن أخيه أكسل Axel اللذين يقومان برحلةٍ مُريعةٍ إلى قلبِ بُركانٍ خامد – أي مباشرةً إلى باطنِ الأرض. وقد أُنتِجَ فيلمٌ من هذا الكتاب سنة 1959.

كتبَ جول فيرن ما يزيدُ عن ستّين رواية حتّى وفاته، في العام 1905. ومن أشهر مؤلفاته روايتان هما "عشرون ألف فرسخٍ تحت البحر" Twenty Thousand Leagues Under the Sea (1869) و"حولَ العالَمِ في ثمانين يوماً" Around the World in Eighty Days (1873).

الفصل الأوّل

كتابةٌ غريبةٌ على ورقٍ جلديّ

في صباحِ يومِ أحدٍ من آخرِ أيامِ شهر أيار/مايو، عادَ عمّي الأسْتاذ ليدنبروك مُسرِعاً إلى مَنزِله، قبل نصفِ ساعةٍ من الوقتِ المُعتاد. ألقى بقبّعتِه وعصاه واتّجهَ إلى مكتبِه وهو يُنادي.

"أكسل! الحقْ بي."

لحِقتُ به وأنا أحدِّقُ في ما حولي وأنتظرُ أن يتكلّمَ. كان المكتبُ كالمُتْحف، مليئاً بالمَعادنِ والأحجارِ. فقد كان عمّي أستاذاً في علمِ المَعادِنِ في جامعةٍ مُجاوِرة.

أخيراً، قالَ وهو يحمِلُ كتاباً قديماً وضَخْماً : "وجدتُ هذا في إحدى المكتباتِ هذا الصباح! أليسَ جميلاً؟"

فأجبتُه محاولاً أن أبدوَ متحمّساً : "رائع! وعمَّ يدورُ هذا الكتاب العظيم؟"

فأجابَ بحماسَةٍ : "لقد وَضَعَ هذا الكتابَ مؤلّفٌ آيسلنديّ مشهور عاشَ في القرنِ الثاني عشر."

سألتُه : "أهذه ترجمتُه؟"

فصاحَ : "ماذا؟ بمَ ستُفيدُني ترجمتُه؟ إنّه مكتوبٌ باللغةِ الآيسلنديّة، التي كانت تُستعملُ في ذلك البلد في ما مَضَى. تعال وانظرْ!"

وفيما كنتُ منحَنياً فوقَ الكتابِ لرؤيةِ هذه الأحرفِ الغريبةِ وقَعَتْ رُقْعَةٌ مُتّسِخَةٌ من الورقِ الجِلْديّ على الأرضِ. فالتَقَطها عمّي

وفتحَها بحذَرٍ. وكانت مليئةً بأعمدةٍ من أحرفٍ لم أكُنْ أعرفها. أخَذَ عدَستَه المكبِّرة وبدأ يتفحَّصُها.

ثم قالَ : "اجلسْ يا أكسل. سألفظُ الأحرفَ كما هي في أبجديّتِنا. دوِّنْها بانتباه." وهكذا، فقد كتبتُ ما يلي:

مَدسالةل	يقوتوها	سلوركوًا
س.ياوفه	وضنكي ى ي	نروسزلأ
كأيتلاِ	لانايل	ساالفز
ينرايا	نطيلنع	رازشسا
آبحالّيج	.يةهظفش	الينعنل
ذإيقاا	هلفيكر	تص،ثرف
لتسيبا	عفيحلس	فرو،ام

قالَ عمّي : "أوّلُ حرفٍ هو حرفٌ مزدَوج، ولم يُضَفْ ذلك إلى اللغةِ



الآيسلنديةِ إلاّ بعدَ أن كُتِبَ هذا الكتابُ بمئتي سنةٍ. لا بدَّ من أنّ أحدَ مالكي هذا الكتاب قد ترَكَ هذه الرُّقعَةَ هنا. لكن من هو؟"

تفحَّصَ عمّي الكتابَ مرّةً أخرى بحذرٍ. وكان يوجدُ على ظهرِ الصَّفْحةِ الثانيةِ بقعةٌ وكأنها بقعةَ حبرٍ. فعايَنَها عن كَثَبٍ ثمّ صاحَ بفرحٍ عظيم : "آرني ساكنوسيم! عالم آيسلنديّ شهير عاشَ في القرنِ السادس عشر!"

نظَرَ إلى الكلماتِ التي دوّنتُها وتمتمَ قائلاً: "ستكونُ ذاتَ معنى إذا عرَفتُ كيف أُعيدُ ترتيبَها. لن يَهْنأ لي بالٌ إلى أن أكتشِفَ معناها، وأنت أيضاً يا أكسل!"

فيما كنتُ واقفاً هناك، نَظَرتُ إلى لوحَةِ رَسْمٍ للفنّانة "غروبين" معلَّقةٍ على الحائطِ. كانت "غروبين" فتاةً رائعة ذات عينين زرقاوَيْن وشعر أشقر، وكنتُ أُحبّها حبّاً شديداً. كان عمّي وَصِيَّها، لكنّه لم يكُنْ يعلمُ أننا كُنّا مخطوبَيْن سرّاً. فجأةً، ضَرَبَ عمّي بقبضتِهِ على الطاولةِ فأعادَني إلى عالَمِ الواقعِ.

صاحَ : "ماذا لو كانتِ الأحرفُ مكتوبةً على الصفحةِ بالطولِ وليس بالعَرض؟ اكتبْ جملةً يا أكسل على الصفحةِ بالطولِ، على خمسةِ أعمدةٍ أو ستّة."

فكتبتُ :

أ	ث	ا	ت	غ	ر
ح	ي	ع	ي	ي	و
ب	ر	ز	ا	ر	ب
كِ	اَ	ي	ل	ة	ي
ك	ي	ز	ص	غ	ن

ثمّ قالَ عمّي : "والآن اكتبْها واقرأ كلّ سطرٍ بالعرض." فأطَعْتُه وحصلتُ على النتيجةِ التاليةِ :

أثاتغر حيعييو برزارب كايلةّي كيزصغن

صاحَ عمّي وهو ينتزعُ الورقةَ من يدي : "رائع! الآن كلّ ما عليَّ القيام به هو أن أقرأ أوّلَ حرفٍ من كلِّ كلمةٍ ثمّ ثاني حرفٍ من كلّ كلمةٍ وهكذا دواليك." ولشدّة دَهْشَتِه – ودهشتي أيضاً – أخذ يقرأ بصَوْتٍ مرتفع : "أحبكِ كثيراً يا عزيزتي الصغيرة غروبين."

"هل هذا صحيح، يا أكسل؟"

فأجبتُ مُرتبكاً : "نعم.. آه.. لا!"

ولحُسنِ الحظّ، فقد كانتِ الشيفرةُ الغامِضةُ تُثيرُ اهتمامَ عمّي أكثرَ من هذا الموضوع فقالَ : "حسناً، فلنُطبّقْ هذه الطريقة على الكتابةِ التي على الورَقِ الجِلْديّ"

ثم سَعَلَ بصَوْتٍ مُرتفِعٍ وبدأ يقرأُ الأحرفَ مثلما قَرأ التي كتبتُها أنا:

ميَسونكاسينزآ.اذهتلعفدقل.ضرألانطابيلإلصتفوسوينوي

/ناريزحةياهنيف،سيراتراكستالالشلظعقيثيح،

لوكويزليفينسيفناكربلاةهوّفيلإلزناعاجشلارفاسماهيأ

صاحَ بغضبٍ : "لا تزالُ من دونِ معنى!"

ثم ركضَ خارجاً من البابِ الرئيسيّ لمكتبه بأقْصى سُرْعةٍ يُمكِن لرِجْليْهِ أن تحمِلاهُ بها. وبعدما رَحلَ، بدأتُ أفكِّرُ بالكلماتِ التي كنتُ

قد كتبْتُها بالطولِ نَقلاً عن الوَرقِ الجلدِيّ. وحملْتُ الورقةَ وأخذت أتأمّلُها مُطوَّلاً. ثم طوَيْتُها كالمِرْوَحة وصُرت أهوِّي بها وأنا أنظرُ إلى الكلماتِ الغريبةِ وهي تطفُو لوهلةٍ أمامَ عينيّ. وفي تلك اللحظة بدا السِّرُّ لي واضِحاً! فقرأتُ الجُملةَ كلَّها بصوتٍ مرتفعٍ – بالمقلوب!

صحتُ وأنا أرتجِفُ من الخوفِ : "آه لا! إذا قلتُ لعمّي مَعْنى الكلماتِ التي على الجلدِ، فسوف يقرِّرُ الذهابَ فوراً. ولن يردَعَه أيُّ شيء. سيأخذُني معه ولن نعودَ أبداً! لن أقولَ له ما اكتشفْتُ."

عندما عادَ عمّي، أخذ يعملُ على الشّيفرةِ طيلةَ الليلِ وخلالَ معظمِ اليومِ التالي. وفي حَوالي الساعةِ الثانيةِ ظهراً، رَضَخْتُ للأمر، وكانَ الجوعُ قد غلَبَني، فبادرتُ قائلاً : "يا عمّي، البارحة، بالصُّدفة..."

وناولتُه الورقةَ التي كنتُ قد أَعَدْتُ ترتيبَ الكلماتِ عليها، باللاتينيةِ أوّلاً ثمّ بالألمانية. قرأها عمّي بسرعةٍ. وحين أنهى قراءَتَها، قفزَ في الهواء وكأنه قد تلقّى صَعْقةَ كهربائية. ثمّ جلسَ على كُرسِيِّه وقالَ : "فلنأكلْ شيئاً ثمّ يُمكنُكَ أن توضّبَ حقائبي."

توقّفَ للحظةٍ ثم تابعَ : "وحقائبَك أيضاً!"

إثرَ هذه الكلمات، بدأ جِسْمِي يرْتَعِد. حملتُ الورقةَ وقرأتُها مجدّداً:

أيها المُسافرِ الشُّجاع، انزلْ إلى فوّهةِ البركانِ في سنيفلز يوكول، حيثُ يقعُ ظلُّ شلاّلاتِ سكارتاريس، في نهايةِ حزيران/يونيو وسوف تصلُ إلى باطنِ الأرض. لقد فعلتُ هذا.

آرني ساكنوسيم.

الفصل الثاني

وصلنا إلى آيسْلندا

قرّرتُ أن أحاولَ ردعَ عمّي، فقلتُ له : "ليس هناكَ من برهانٍ على أنّ الورَقَ الجلديّ أصليٌّ. لربّما كان آرني ساكنوسيم يقومُ بدُعابةٍ."

فصاحَ عمّي : "دُعابة! لقد كان رجُلاً مشهوراً في القرنِ السادس عشر. كما أنه سافرَ إلى كلِّ أنحاءِ العالم."

تابعْتُ : "ولكنّي لم أسمعْ قطّ بهذه الأسماء، يوكول وسنيفلز."

أجابَ : "أحضِرِ الأطلسَ الثالث عن الرفِّ الرابع. ففيه أفضل خريطةٍ لآيسْلندا."

قُمْتُ بما طلبَهُ ووجدْتُ الخريطةَ.

قالَ : "يمكنُكَ أن تَرى أنّ هناكَ براكين في كلِّ أرجاءِ آيسْلندا. يوكول تعني نهر جليديّ باللُّغة الآيسْلنديّة. معظمُ الثّورانات البُركانية في آيسْلندا مُضطرَّةٌ إلى الاندفاع عبرَ طبقاتِ الجليدِ في الأنهرِ الجليديّةِ، لذا تُستعمَلُ الكلمةُ أيضاً للإشارةِ إلى البراكينِ في ذلك البلد."

ثم مرَّرَ إصبعَه على طولِ شاطئ آيسْلندا الغربيّ. وأعلَنَ : "هذه هي سنيفلز، وها هي سكارتاريس، إحدى قممِه. وسوف يُصبحُ أكثرَ البراكينِ شُهرةً في العالَمِ إذا كانت فُوَهَتُه تؤدّي فعلاً إلى باطِنِ الأرض."

صحْتُ : "لكنّ ذلك مستحيل! لا بدَّ من أنّ الفوّهةَ مليئةٌ بالحُمَمِ والصُّخورِ الحارّة و..."

قالَ لي عمّي بهدوء : "سنيفلز هو بركانٌ خامدٌ. لم يَثُرْ منذ العامِ 1229."

قلتُ : "حسناً، من المُمكنِ أن يكونَ هذا الرجل المَدعوّ ساكنوسيم قد ذهَبَ إلى الفُوّهةِ وقد يكونُ رأى ظلَّ سكارتاريس يُلامِسُها لكن يَستحيلُ أن يكونَ قد وَصَلَ إلى باطنِ الأرضِ وعادَ حيّاً!"

سألَني عمّي غاضباً : "ولم لا؟"

قلتُ : "لأنّ العُلماءَ يَعرِفونَ أنه كلّما نزلنا سبعين قدماً تحت سَطْحِ الأرض، ترتَفِعُ الحرارةُ درجةً واحدةً تقريباً. وبالتالي فلا بدَّ من أنّ دَرَجَةَ الحرارةِ في باطنِ الأرضِ تبلغُ ما يفوقُ المليوني درجة."

فضَحِكَ عمّي وقال : "إذن أنتَ خائفٌ من أن تَذوب؟ لا أحد يعلَمُ فعلاً ما الذي يحصُلُ داخِلَ الأرض. وقد نكتَشِفُ أنّ العلماءَ كانوا على خطأ. على أيِّ حال، سوف نتحقَّقُ من ذلك بأنفُسِنا."

خرجتُ من مكتبِ عمّي مُندهِشاً. هل إنّ عمّي رجلٌ مجنون أم عبقري؟ فقرّرتُ أن أذهبَ في نزهةٍ، وفيما كنتُ أمشي، التقيتُ غروبين.

لاحَظَتْ ملامحَ القلقِ على وجهي، فسألَتْني : "ما الخطبُ يا أكسل؟"

فأخبرتُها بالأمر. لازمَتِ الصمتَ لبضعِ دقائقَ ثمّ قالَتْ أخيراً : "أكسل، ستكونُ رحلةً رائعة، رحلة جديرة بابْنِ أخِ عالمٍ."

صحْتُ : "تعنين أنّكِ تُريدينَني أن أذهبَ؟"

فأوْمأتْ غروبين برأسِها. أما أنا فلم أتفوّهْ بأيّةِ كلمةٍ لأنّ انفعالات ذلك اليوم قد أرهقَتْني تماماً.

قلتُ في نفسي : "إننا لا نزالُ في شهرِ أيار/مايو. ونهايةُ

حزيران/يونيو لا تزالُ بعيدة. فقد يُبدِّلُ العديدُ من الأمورِ رأيَ عمّي إلى ذلك الحين." لكن عندما وصلتُ إلى المنزل، وجدته يُوضِّبُ حقائبه.

فتمْتمْتُ قائلاً: "إذاً هل نحن ذاهبون؟"

صاحَ: "نعم أيها الأبله! سننطلقُ بعد غدٍ. ليس من السهلِ أن نصِلَ إلى آيسْلندا من ألمانيا!"

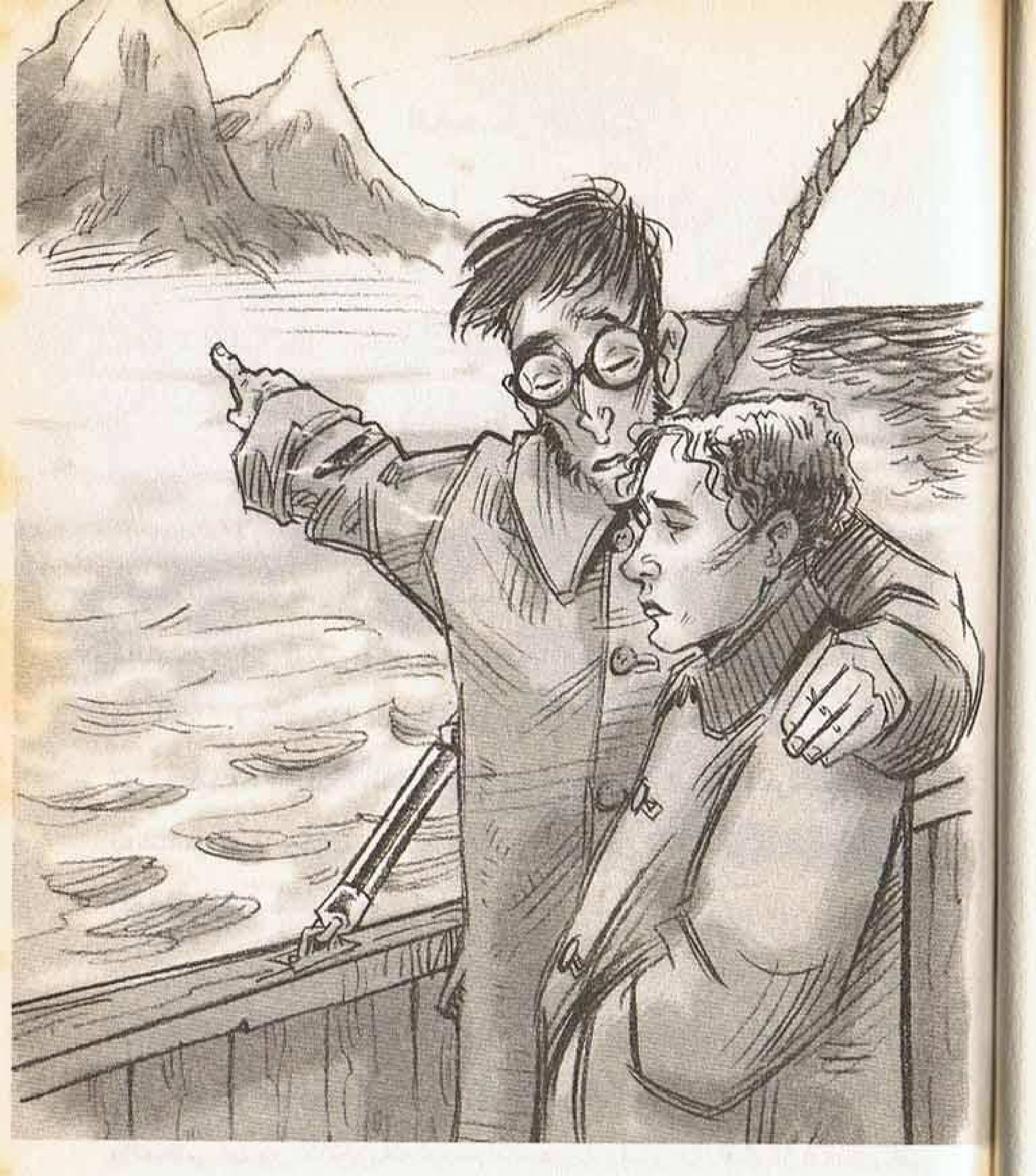
كانت رحلتُنا بطيئةً وطويلةً. وفَوْرَ وُصولِنا إلى الدانمرك، جالَ عمّي في ميناء كوبنهاغن بحثاً عن سفينةٍ تُقِلُّنا إلى آيسْلندا. ولخيبةِ أملي الكبيرة، كان هناكَ واحدةٌ ستُبحِرُ على الفورِ تقريباً. غادرْنا المرفأ في 2 حزيران/يونيو ووَصَلْنا إلى آيسْلندا بعد عشرةِ أيامٍ. وقبل أن نُغادِرَ السفينةَ، أخذني عمّي إلى سَطْحِها وأشارَ إلى جبلٍ ذي قمّتَيْن مغطّاتيْن بالثلوجِ وصاحَ: "هذا هو جبل سنيفلز! إنّ الأمورَ تجري بشكلٍ جيّد."

في 16 حزيران/يونيو، وفي الساعةِ الخامسةِ فجراً، أيقظني صَهيلُ أربعةِ أحصِنةٍ تحت نافذَتي. فارتديْتُ ملابسي بسُرعةٍ ونزلْتُ إلى الشارعِ. كان دليلُنا الآيسلنديّ، ويُدعى هانس، يُحمِّلُ آخرَ ما تبقّى من أمْتعَتِنا. وبعد ساعةٍ، أصبحَ كلُّ شيءٍ جاهزاً. امتطيْنا جِيادنا وانطلَقْنا تحتَ سماءٍ مُلبّدةٍ بالغيوم. في بادئِ الأمر، جعلَتْ لذّةُ الامتطاءِ مزاجي مَرِحاً. وسألْتُ نفسي: "أين المُجازفةُ في زيارةِ بُركانٍ خامدٍ؟"

بعد أيامٍ، وصلْنا إلى سَفْحِ جبل سنيفلز.

ثم شَرَحَ عمّي الأمرَ لِهانس: "عندما نصِلُ إلى القمّةِ، سأستكشِفُ الفُوَّهةَ وأنزلُ فيها بقدرِ ما أستطيعُ."

تملَّكَني الخوفُ مُجدَّداً عند سَماعي هذه الجُمْلَة. فهمَسْتُ في



نفسي: "ماذا لو كان ساكنوسيم المجنون يقولُ الحقيقة؟ عندها سَنَضيعُ في باطِنِ الأرضِ. فما من برهانٍ على أنَّ بركانَ سنيفلز خامد. إذ إنّ مجرّد انقضاء 500 عامٍ عليه وهو خامِدٌ لا يعني أنه لن يستيقظَ مجدَّداً أبداً!"

الفصل الثالث

داخل الفُوّهة

يَبلغُ ارتفاعُ جبلِ سنيفلز خمسةَ آلافِ قدمٍ. مشيْنا في صفٍّ واحدٍ، يقودُنا هانس. وعلى الرغمِ من خوفي، كنتُ مَبْهوراً بالصُّخورِ البركانيَّةِ التي كنتُ أراها حولي.

بدأتِ الأرضُ ترتفعُ بحدَّةٍ. كان هانس يسيرُ بكلِّ هدوءٍ، وكأنّه يَمشي على أرضٍ أفقيَّةٍ عادية. وكانتِ الحجارةُ الصغيرةُ تستمرُّ بالتدَحْرُجِ إلى أسْفلِ سَفْحِ الجَبلِ، لكنَّ الكبيرةَ منها كانت تُشكِّلُ نوعاً من الدرَجِ فساعدَتْنا على التسلّقِ. وفي الساعةِ السابعةِ مساءً، كنّا قد تسلَّقْنا ما يُقارِبُ الثلاثةَ آلافِ قدمٍ. كان البَرْدُ قارِساً والهواءُ يَعْصِفُ بقوّةٍ. وكنتُ مُنْهكاً. وعلى الرغمِ من قلّةِ صبرِه، قرّرَ عمّي أن يتوقّفَ. لكنّ هانس هزّ رأسَهُ.

وصرخَ : "ميستور!"

فسألتُ قلِقاً : "ماذا يَعْني ذلك؟"

فأشارَ عمّي بإصبعِه. في البعيدِ، رأيتُ عَموداً من الأتْربةِ والحصَى يدورُ كالزَّوْبَعةِ ويتّجِهُ نحوَنا وبسُرْعةٍ. قادَنا هانس إلى مكانٍ آمنٍ في الناحيةِ الأخرى من الجبلِ. بعدَ ذلك، قرَّرْنا أن نُتابِعَ سَيْرَنا. وبعدَ خمسِ ساعاتٍ أمضيناها في الظلامِ الحالكِ، وصلْنا إلى قِمّةِ سنيفلز.

نِمتُ تلكَ الليلةَ بشكلٍ أفضلَ ممّا فعلتُ منذ وقتٍ طويل، على



الرُّغمِ من الحجارةِ القاسيةِ الموجودةِ تحتي. وفي صباحِ اليومِ التالي، استيقظْنا مُتجلّدين تقريباً من الهواءِ المصْقِعِ على الرُّغمِ من أنّ الشمسَ كانت تسطعُ بقوّة. وقَفْتُ ونظَرْتُ حولي. كان المنظرُ خلّاباً! كان بإمكاني أن أرى وُدياناً عميقةً تشقُّ الأرضَ في البعيد، وأنهاراً جليديةً وقِمَماً أخرى والبحرَ الذي لا نهايةَ له. ثمّ أجْبَرْتُ نَفْسي على النَّظرِ إلى الأسفلِ. كان عرضُ فُوَّهةِ سنيفلز يبلغُ حوالى الميل وعمقُها حوالى الألفَيْ ميل. فقلتُ في سرّي : "سيكونُ القعرُ مليئاً بالنارِ واللهبِ! لا ينزِلُ إلى هناك سوى المَجانين."

لكن لم يكُن هناك مَجالٌ للتراجُع. انطلقَ هانس ولحِقْتُه من دونِ التلفُّظِ ببِنْتِ شَفَة. ومع حلولِ الظهيرةِ، كنّا قد وصلْنا إلى أسفلِ المُنْحَدرِ المؤدّي إلى الفُوَّهةِ. وكان هناك ثلاثُ فجواتٍ في الفُوَّهة، يبلغُ عرضُ كلّ منها حوالى المئةِ قدم. كانت فاغرةً تحت أقدامِنا لكنّني لم أملكِ الشجاعةَ للنَّظرِ إلى داخلها. إلاّ أنّ عمّي كان يَرْكُضُ من واحدةٍ إلى أخرى وهو يلوِّحُ ويُتَمْتِمُ. ثمّ توقَّفَ ليحدِّقَ في صَخْرةٍ كبيرة كانَتْ في منتصَفِ الهوّةِ. فجأةً، أطْلقَ صرخةً.

وصاحَ: "أكسل! أكسل! تعالَ إلى هنا!". ركضْتُ إليه فقالَ: "انظرْ!"

تعرّفتُ على الأحرفِ الموجودةِ في الكِتابِ القديم. كان ذلك اسم آرني ساكنوسيم.



صاحَ عمّي: "أتُصدِّقُني الآن؟ كلُّ ما علينا القيامُ به هو أن ننتظِرَ أن يُلامسَ ظلُّ سكارتاريس طرفَ إحدى هذه الفُوَّهاتِ وسنعرفُ أيَّ اتجاهٍ نسلُك. علينا الآن أن ننامَ وننتظرَ طُلوعَ الشمْسِ."

كانت السماءُ في الأيامِ القليلةِ التاليةِ ملبَّدةً بالغيوم، وكنتُ مُفعَماً بالأمَل.

صرخَ عمّي غاضِباً: "إذا لم تَظهرِ الشمسُ قريباً، سيكونُ علينا أن ننتظِرَ سنةً أخرى!"

لكن، لخيبةِ أملي، طلَعَتِ الشمسُ في اليومِ التالي وألْقَتْ بأشعَّتِها إلى داخِلِ الفوَّهة. وكانَتْ قمّةُ سكارتاريس تَنْتَصِبُ بشُموخٍ فوقَ رؤوسِنا. وفي مُنتصفِ النهارِ، بدأ ظلُّها يُلامِسُ طرفَ الفُوَّهةِ الْوسطى.

صاحَ عمّي: "هذه هي! والآن هيّا بنا إلى باطنِ الأرض!"

كان قد حانَ الوقتُ لأُلقيَ نظرةً داخلَ تلك الحُفْرةِ التي لا قرارَ لها. لم أكُنْ أُريدُ أن أبدوَ جباناً أمامَ الآخرَيْن. فتقدّمْتُ ونَظرتُ إلى الأسفلِ. وتساءلْتُ: "حتّى إذا وصَلنا إلى الأسفلِ بواسطةِ حبالِنا، فكيف لنا أن نَفُكَّها حين نَصِلُ إلى الطرفِ الآخر؟"

كان عمّي قد فكّرَ بهذه المشكلة. فأخرجَ حبلاً طوله أربع مئة قَدم. وقال مفسِّراً: "سأُنزلُ نصفَ هذا الطُول، وسأربُطه حولَ قِطْعةٍ من الحُمَمِ هنا في القِمّةِ. ثمّ سأرْمي النِّصْفَ الآخر. سينزلُ كلٌّ منّا مُمسِكاً نصفَيْ الحبل. عندما نكون قد نزلْنا مئتي قدم، سيكونُ بإمْكانِنا أن نُنزلَ كلَّ الحبلِ بإفلاتِ طَرفٍ من الطرَفَيْن وسَحْبِ

الآخر! ثمّ نفعلَ ذلك بالمثلِ من جديد... إلى..." نظرَ إليّ وتابعَ: "إلى أن نصلَ إلى باطنِ الأرض."

بدَأنا ننْزِلُ فِي الحفْرةِ. هانس أوّلاً ثمّ عمّي – ثمّ أنا! وبعد نِصْفِ ساعةٍ، وَصلنا إلى صَخْرةٍ كبيرةٍ ناتئةٍ من طرفِ الهُوّةِ. سحبَ هانس الحبلَ وبدأنا من جديد. وكان عمّي طيلةَ عمليّةِ النزول، يراقبُ الصخورَ عن كثَب.

قالَ: "أنا أكيدٌ من أنّ العالمَ الإنكليزي كان على حقّ. ما مِن حرارةٍ داخلَ الأرض."

فقلتُ لاهثاً: "إننا لا زِلنا نهبطُ منذ حوالى إحدى عشرة ساعة. ووِفْقاً لحساباتي، لقد نزلْنا ثلاثةَ آلاف قَدمٍ تقريباً."

فيما كنتُ أتكلّم، توقّفَ هانس وصرخَ: "توقّفْ!"

فصاحَ عمّي قائلاً: "لقد وصلْنا إلى القعرِ!"

فصِحْتُ: "هل مِن مخرج؟"

أجابَ: "نعم، هناك نوعٌ من النَّفقِ يَنْحدِرُ مُتّجِهاً إلى اليمين."

أمْضَيْنا الليلةَ هناك. وفيما كنتُ مُمدّداً على ظهري، رأيتُ نَجْمةً ساطعةً خارجَ الهوّةِ. ثمّ غرقْتُ في سُباتٍ عميق. وفي الساعةِ الثامنةِ من صباحِ اليوم التالي، أيقظَني شُعاعٌ من النورِ فقُمتُ.

قالَ عمّي: "الآن يا أكسل، سنغوصُ فِعْلاً تحتَ الأرض.

وسَحبَني خلْفَه مُتحمِّساً. وقال:

"هذه هي اللحظة بالذات التي تبدأ فيها رحْلتُنا."

الفصل الرابع

طريقٌ مسدود

علّقَ عمّي مِصْباحاً حولَ عُنقِه، وصاح:

"إلى الأمام!"

وفيما كنتُ أدْخلُ وراءَه في الممَرِّ المظلمِ، نظرْتُ إلى الأعلى ونَظرتُ إلى سَماءِ آيسْلَنْدا لآخرِ مرّةٍ. وهمَسْتُ في سِرّي:

"لن أراها بعد الآن أبداً."

كانَ النَّفقُ ينحدِرُ بشدّةٍ فتركْنا الحقائبَ تنزلِقُ أمامَنا وهي مربوطةٌ بطَرَفِ حبلٍ طويل. وكنتُ أنظُرُ إلى ميزانِ الحرارةِ باستمرارٍ فيما كُنّا ننزل.

قلتُ متفاجِئاً: "ارتفعَتِ الحرارةُ أربعَ درجاتٍ فقط. لعلّنا نمشي بخطٍّ مستقيم بدلاً من أن ننزل!"

مَشيْنا لأكثرَ من سبعِ ساعاتٍ. وأخيراً، جلسْنا لنأكلَ. فقلتُ لعمّي:

"يا عمّي ليدنبروك، لم يبْقَ لدينا من المياهِ إلاّ ما يكفي لبضْعَةِ أيامٍ فقط."

فابْتسَمَ قائلاً: "لا تقلَقْ يا أكسل، سنجِدُ المزيدَ بعد أن نعبرَ هذه الطبقة من الحُمَم."

فقلتُ: "لكن لا يُمكنُ أن نكونَ قد نزلْنا أكثرَ من ألفِ قدمٍ والحرارةُ لم ترتفِعْ سوى أربعِ درجاتٍ."

قالَ عمّي: "تبعاً لِحساباتي، فإننا الآن تحت مُستوى البحرِ بعشرةِ آلافِ قدم."

صِحْتُ : "إذاً يجبُ أن تبلغَ درجةُ الحرارةِ إحدى وثمانين درجة! لكنّها خمسةَ عشر فقط! فكيف تفسّرُ ذلك؟"

فلم يُجِبْني.

في اليومِ التالي، وفي الساعةِ السادسةِ صباحاً، انطلَقْنا من جديد. وبعدَ ستّ ساعاتٍ، وصَلْنا إلى مكانٍ حيثُ يتقاطعُ ممرّان. كان كِلاهما مظلميْن وضيّقيْن.

فسَألْتُ : "أيّ طريقٍ سنسلكُ؟"

فأشارَ عمّي إلى الممرِّ الشرقيّ. لا أدري لماذا. ربّما لأنه لم يكُنْ يريدُ أن يتردّدَ أمامَنا. كان انحدارُ هذا الممرّ الجديد خفيفاً جداً. وكانت الطريقُ مليئةً بقناطرَ من الحُممِ، بعضُها عالٍ جداً والبعضُ الآخر منخفِضٌ جداً. كان علينا أن نزحَفَ في بعضِ الأحيان. ثمّ فجأةً، بدَتِ الأرضُ تعلو أمامَنا.

فقلتُ لعمّي : "إذا تابَعْنا على هذا النحو، سنعودُ إلى السطحِ."

هزَّ كَتِفَيْه ولم يتفوّهْ ببِنْتِ شَفَةٍ وتابعَ سَيْرَه. فلحِقْتُ به، خائفاً من أن أبْقى بعيداً خلفَهم. وبدأَتِ الصخورُ كالأردواز والطباشير تحلُّ مكانَ الحُمَم.

صِحْتُ : "انظُرْ يا عمّي! لقد وَصَلْنا إلى الصخورِ التي تشكّلَتْ عندما ظهرَتْ أولى النباتاتِ والحيواناتِ على وَجْهِ الأرض."

توقّعتُ أن يتفاجأَ لكنّه أكملَ سَيْرَه من دون أن يتفوّهَ بكلِمةٍ.

ففكّرتُ : "لعلّه يَعْلَمُ أنّه ارتكبَ خطأً باختيارِه هذا النَّفق. أو أنّني أخطأْتُ بشأنِ الصُّخورِ؟" تابعتُ سيري وتَمْتَمْتُ : "إذا كنتُ محقّاً، سأجِدُ بقايا بعضِ الحيواناتِ والنباتات."

لم أكُنْ قد سِرْتُ أكثرَ من مئةِ ياردة عندما شعرْتُ وكأنني أسيرُ على نَوْعٍ من الأتْربة. فقلْتُ وقد غمرَتْني الفرحةُ : "هذا من النباتات أو الحيوانات!" ولم يكُنْ بإمكاني أن أحتملَ صمْتَ عمّي أكثرَ من ذلك. فالتقَطْتُ هيكلَ حيوانٍ صغيرٍ كان مَحْفوظاً بشكلٍ جيد وركضتُ إليه وصِحْتُ:

"انظر إلى هذا!"

قال : "نعم، لقد تجاوَزْنا الحُمَمَ. لعلّي ارتكبتُ خطأً، لكن لا يُمكِنُني أن أتأكّدَ من ذلك إلى أن نَبلُغَ نهايةَ النفقِ."

فقلتُ : "لكن هل نحن في خَطَر؟"

سألَ : "خطرُ ماذا يا أكسل؟"

قلتُ له : "الموتُ من العَطَش! لدينا من المياهِ ما يكفي لثلاثةِ أيامٍ فقط!"

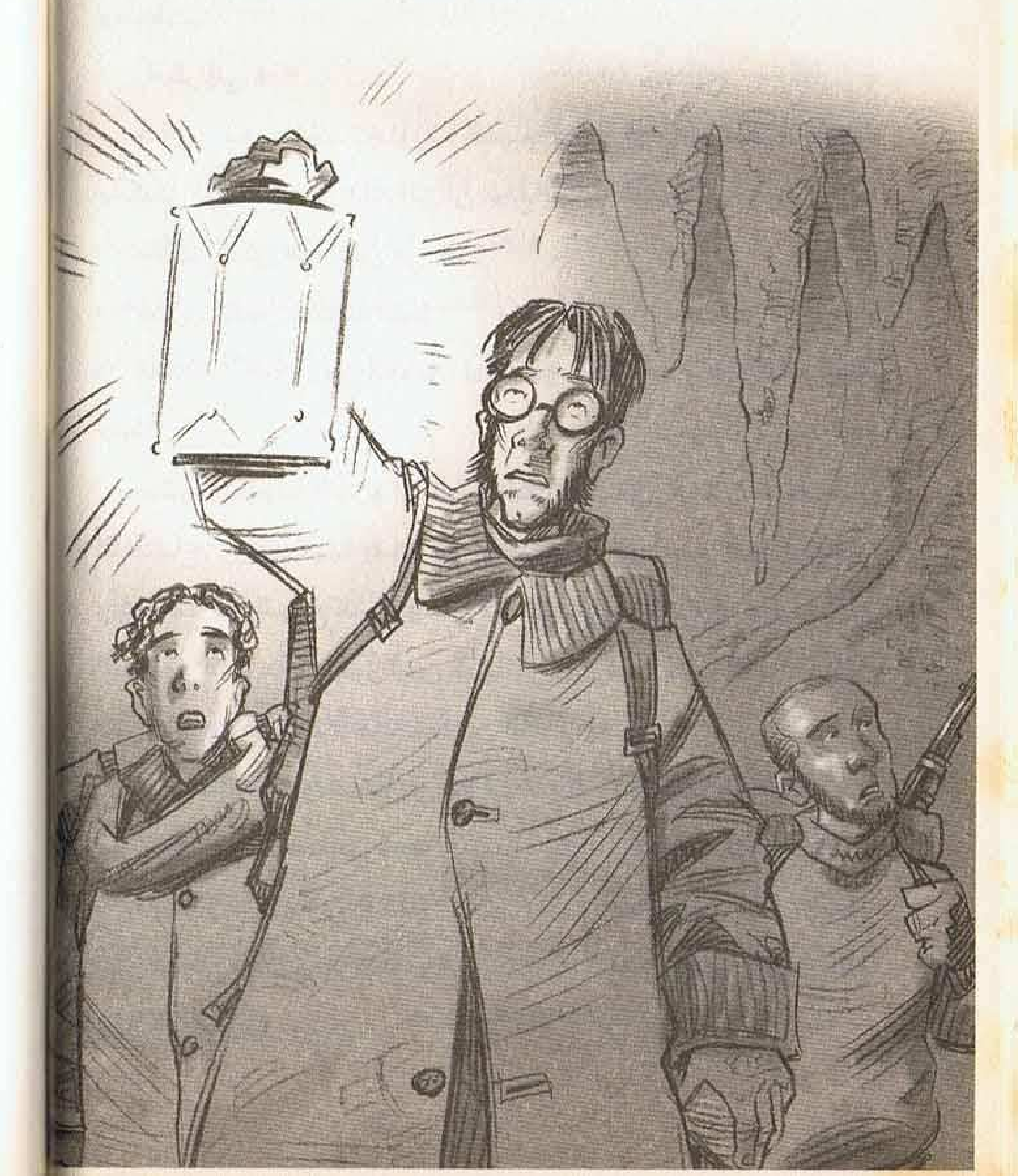
مشَيْنا طيلةَ اليومِ التالي. كانت الصخورُ تتلألأُ تحتَ ضوءِ المصباح، ورأيْتُ فيها بقايا زَواحِفَ تنتمي إلى عصرٍ أقدمَ من التي رأيناها في اليومِ السابق. في نهايةِ اليومِ التالي، حلَّتْ مكانَ الصخورِ اللمّاعةِ صخورٌ ليس فيها بَريق. وفيما كان النفقُ يضيق، نظرتُ إليها عن كثب، فإذا بها من الفَحْمِ الحجريّ.

وسُرعانَ ما وصلْنا إلى كَهْفٍ ضخم، يبلغُ عرضُهُ مئةَ قدمٍ وارتفاعُه مئة وخمسين قدماً. أمضيْنا يوماً ونحنُ نمشي فيه.

فقلتُ وقد أنْهكَني العَطَشُ : "لن ينتهي هذا النَّفَقُ أبداً." لكنني تسرَّعْتُ في الكلام. إذ فجأةً، ظهرَ جِدارٌ أمامنا مباشرة. وقد وَصَلْنا فعلاً إلى طريقٍ مسدود.

قال عمّي : "إننا نعْلمُ الآن على الأقلّ. فهذا الطريق ليس الذي سلكَهُ ساكنوسيمّ. لا يُمكِنُنا القيامُ بشيءٍ سوى أن نعودَ أدراجَنا. يُمكنُنا أن نعودَ إلى الطريقِ الآخر بأقلٍّ من ثلاثةِ أيام."

فصِحْتُ : "لكن لم يتبقَّ معنا قَطْرة ماء!"



الفصل الخامس

الماءُ في كلّ مكان!

كانت رحلةُ العودةِ صَعْبةً جداً. لم يتذمّرْ عمّي لأنّه كان غاضِباً من نفْسِه. وكان هانس هادئاً كالمُعتاد. أمّا أنا فكنتُ أدَمْدِمُ بسَخطٍ وصَخبٍ. وفي نهايةِ اليوم الأوّل، لم يكُن قد تبقّى معنا ما يُمكِن شُربُه. وكِدْتُ أفقدُ الوعيَ أكثر من مرّةٍ بسببِ الحرِّ والتَعَبِ.

أخيراً، في نهارِ الثلاثاء الواقع في 7 تموز/يوليو، وصلْنا مجدّداً إلى التقاطُعِ مع الطريقِ الآخر. كنّا نسيرُ على أيدِينا ورُكَبِنا، شبهَ هالكين. تمدَّدْتُ على الأرضِ المليئة بالحُممِ وأنا أئنّ من الألم.

قالَ عمّي بلطف : "يا للطفلِ المسكين!"

أخذْتُ يديْه المُرتجفتيْن بين يديّ. فسمحَ لي بإمساكِهما ونظرَ إليّ وقد اغرورَقَتْ عيناهُ بالدُّموعِ. ثمّ رأيتُه يأخذُ قارورةً من حزامِه ويضعُها على شفتيّ.

قالَ : "اشربْ هذا الماء، إنّه آخرُ ما تبقّى، آخرُه. لقد احتفظْتُ به لأجلك يا أكسل."

فصِحْتُ : "شكراً لك!" واستعَدْتُ بعضَ قوايَ. ثم همسْتُ : "علينا أن نعودَ إلى السطحِ وإلاّ فسنموتُ جميعاً."

لم ينظُرْ عمّي إليّ. ثمّ سادَ صمتٌ طويل.

قالَ أخيراً : "نعود؟ كلا، سيُعيدُك هانس. وأنا سأذهبُ بمُفردي."

تمنّيتُ عندها لو كنتُ أنا وهانس نتكلّمُ اللغةَ نفسَها، لكُنّا استطَعْنا أن نجعلَ عمّي يرى الصَّواب. اتّجهتُ إليه وأشَرْتُ إلى الطريقِ المؤدّيةِ إلى النَّفق. لكنّه هزَّ رأسَه بهدوءٍ وأشارَ إلى عمّي.

قالَ بلُغتِه : "سيّدي."

صِحْتُ : "لا، أيها الأبله! علينا أن نُعيدَه معنا! ألا تفهم؟"

حاولتُ أن أُجبرَ هانس على الوقوفِ. وفيما كنتُ أبذلُ كلّ جهدي معه، تقدّم عمّي نحونا وقال:

"اهدأ يا أكسل. لديّ فكرةٌ أخرى. لا بُدَّ أن يكونَ هُناك ماءٌ في النفقِ الآخرِ. فيما كُنتَ تستريحُ الآن، ذهبتُ لإلقاءِ نظرةٍ. إنَّ ذلك النفقَ ينزلُ إلى الأسفلِ باتجاهِ باطِنِ الأرض. سيكونُ هناك ينابيعُ من المياهِ. إنني أطلبُ منك يوماً واحداً، لا أكثر. إذا لم نجدِ المياهَ التي نحتاجُ إليها، أقسمُ لك أننا سنعودُ إلى السطحِ."

أثّرَ وعدُه في نَفْسي فقلتُ له : "سأفعلُ ما تُريد. لننطلقْ."

دخلْنا في النَّفقِ الجديد. رفعَ عمّي مِصْباحَه إلى الجدران وقالَ : "عندما بدأتِ الأرضُ تبرُدُ، أحْدَثَ التبريدُ شقوقاً في الصُّخورِ. إننا نَمْشي في أحدِ هذه الشُّقوق. يُمكنكَ أن ترى طبقاتِ المعادن – النحاس والمنغنيز والبلاتين وحتّى بعض الذهب. وفيما ننزل، سنَرى الميكا ثمّ الغرانيت."

وكان على حقّ. ففي الأسفلِ، كانتْ صُفيحاتُ الميكا تُبْهِرُ أعيُنَنا. ثمّ فجأةً، أصبحَ لونُ الصخورِ داكِناً، فقد كُنّا مُحاطين بالغرانيت القاتم. كانت الساعةُ عندها قد بلَغتِ الثامنةَ مساءً ولم يكُنْ هناك

أيُّ أثرٍ للماء. بدأتْ رجلايَ تَرْتَجِفان. أطلقتُ صيحةً ووقعتُ على الأرضِ وصحتُ:

"النجدة! إنني أموتُ!"

التفتَ عمّي. ونظرَ إليّ وقد كتّفَ ذراعيْه وأخذ يُتَمْتِمُ بغضب : "لقد انْتَهَى الأمرُ برمّته."

وكان آخرُ ما رأيتُه قبل أن أغلقَ عينيّ وجهَهُ المقطَّب. وعندما فتحتُهما من جديد، رأيتُ هانس وعمّي نائمَيْن على الأرض.

هَمَسْتُ : "سنموتُ جميعنا. تفصِلُنا أربعةُ أميالٍ عن السطحِ. إننا خائرو القُوى الآن ولا يُمكِننا أن نعودَ."

مرَّتْ بِضْعُ ساعاتٍ. وفيما كنتُ مُمَدَّداً نصفَ نائمٍ، سمعتُ ضجّةً. ظَنَنْتُ أنني أرى هانس على مسافةٍ منّي يَحْمِلُ مِصْباحاً.

"لقد تَركنا هانس!" حاولتُ أن أَصْرُخَ لعمّي لكنّ فَمي كان شديدَ الجفافِ فلم تخرُجِ الكلماتُ منه.

بقيتُ مُمدَّداً هناك لساعةٍ أخرى، وأنا أشعُر وكأنني أفقِدُ صوابي. لكنني سمِعْتُ عندئذٍ هانس عائداً. أيقظَ عمّي وقالَ : "فاتين!"

فصِحْتُ وأنا أصفّقُ بيديّ : "ماء! ماء!"

تحضّرْنا بسرعةٍ فائقةٍ ونزلْنا في مَمَرٍّ شديدِ الانحدار. وكان بإمكاني أن أسْمَعَ هَمْهَمةً خافِتةً عبرَ جُدرانِ الغرانيت وكأنها رَعْدٌ بعيد.

قالَ عمّي بحماسَةٍ : "هناك نهرٌ جوفيّ يتدفّقُ من حَوْلِنا."

لكن الصوتَ كان يزدادُ خفوتاً كلّما تقدّمْنا. فعُدْنا إلى حيثُ كان

صوتُ الماءِ يُسمَعُ بوُضُوحٍ أكبرَ. جلستُ بقُربِ الجدارِ. وكان بإمكاني أن أسمَعَ الماءَ يتدفّقُ في الجهةِ الأخرى. حمَلَ هانس فأسَه وأخذ يضرِبُ به الصخور. وسُرعان ما ظهَر ثقبٌ صغيرٌ في الغرانيت. ظَلَّ هانس يَعملُ لأكثرَ من ساعةٍ وهو يحفرُ الصخْرةَ بشكل أعمق. فجأةً، تدفّقتْ نفثةٌ من الماءِ من الثَّقْبِ إلى الحائطِ المُقَابل. صَرخَ هانس متألّماً عندما صَدَمَتْهُ المياه. ومددْتُ يَدي وصرخْتُ أنا أيضاً.

صحْتُ : "إنها حارةٌ لدرجةِ الغليان!"

فأجابَ عمّي بهدوءٍ : "ستبرُدُ."

كان النفقُ يمتلىءُ بالبُخارِ كلّما تدفَّقَ الماءُ إلى داخلِه. أخذْنا أوّلَ جرعةٍ من الماءِ. ولم نأبَهْ لمصْدَرِها، أو إذا ما كان من المأمون أن نشربَها.

قلْتُ : "علينا أن نملأَ قناني المياهِ والقوارير."

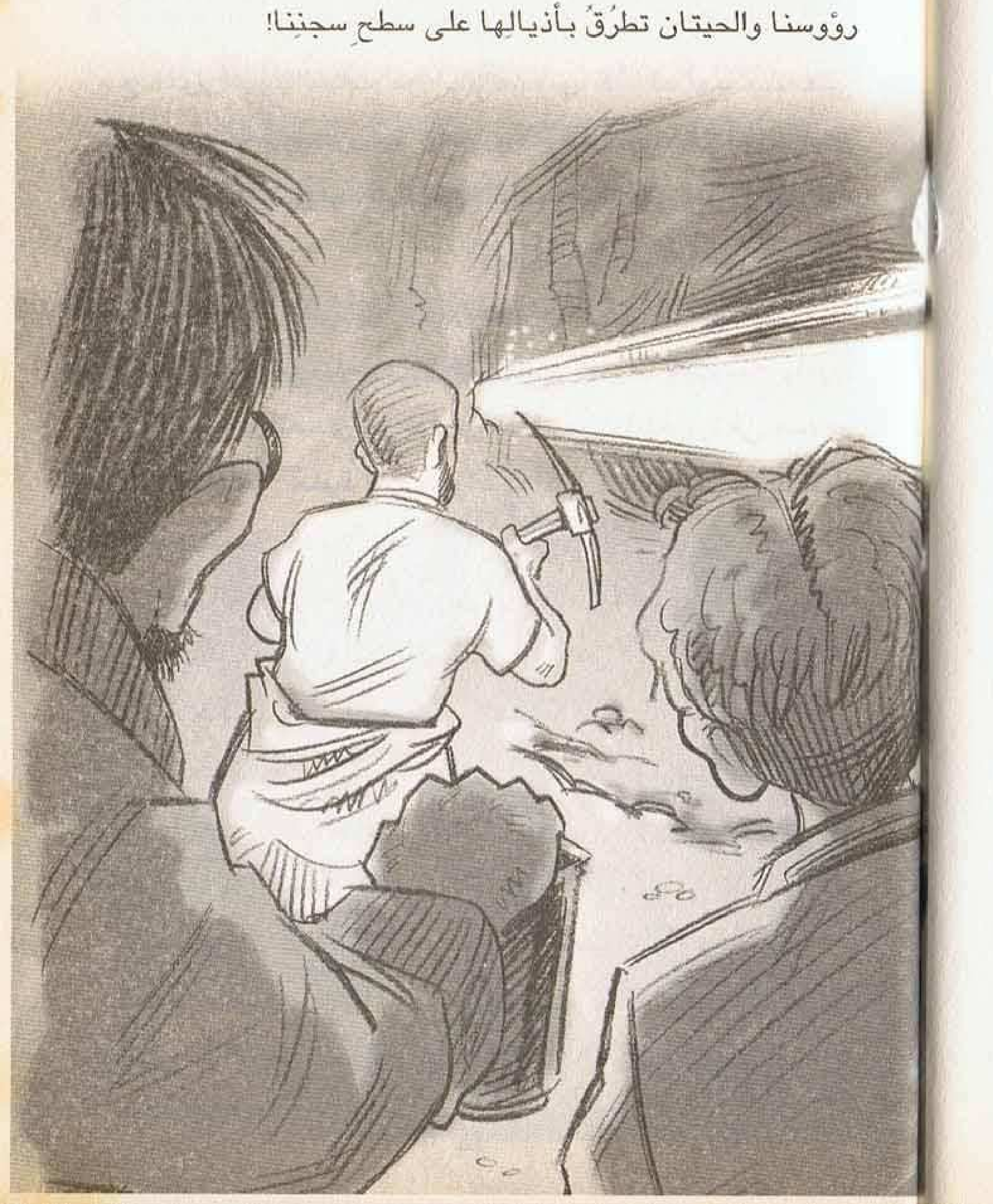
فأجابَ عمّي : "وبما أنّ الماءَ يتدفّقُ إلى الأسفلِ، فإنّه سيقودُنا ويُنعِشُنا في آنٍ معاً."

تبِعْنا مجرى المياهِ طيلةَ أيامٍ. ولم أعُد أفكّرُ بالشمسِ والنُّجومِ والقَمرِ أو بالأشجارِ والبيوتِ والمُدُن. كان عمّي يأخذُ معلوماتٍ من آلاتِه كلّ ساعةٍ. اندهشْتُ عندما قرأتُ حساباته.

قلتُ : "إذا كنتَ على صَوابٍ يا عمّي، فنحن على بعد مئتين وثلاثة عشر ميلاً من نقطةِ انطلاقنا وثمانٍ وأربعين ميلاً تحت مستوى المحيطِ الأطلسي. يجب أن تكونَ الحرارةُ ألفاً وخمس مِئةِ درجةٍ ولا بدَّ أن يكونَ الغرانيتُ ذائباً!"

فضَحِكَ قائلاً : "كما يمكنُكَ أن تلاحِظَ بنفسِكَ، إنه ليس كذلك. لكنَّك على حقٍّ في ما يتعلّقُ بوجود المحيطِ فوقَنا."

ارتجفتُ. ففي تلك اللحظةِ، كانتِ الأمواجُ تتقاذفُ السُّفُنَ فوق رؤوسنا والحيتان تطرُقُ بأذيالِها على سطحِ سجنِنا!



الفصل السادس

تائهون في الظلام

مع حلولِ اليوم السابع من آب/أغسطس، كنّا قد أصبَحْنا على حوالى خمسة وسبعين ميلاً تحت سطحِ الأرض. كنتُ أمشي أمامَ الآخرَيْن وأنا أحملُ أحدَ المصابيحِ عندما التفتُّ إلى الخلفِ وأدْركْتُ أنني لوحدي.

قلتُ لنفسي : "عليّ أن أعودَ وأنضمَّ للآخرَيْن."

مشيتُ مدّةَ ربعِ ساعةٍ في الطريقِ الذي كنتُ قد أتَيْتُ منه. ناديتُ فلم أسمعْ سِوى الصَّدى بين جُدرانِ النَّفَق. مرّت قُشْعَريرةٌ في جَسَدي.

أخذتُ أردِّدُ : "حافِظْ على هدوئِك يا أكسل. هناك ممَرٌّ واحدٌ فقط، لذا سأجِدُهم من جديد."

تابعتُ السيرَ في صَمْتٍ موحِش. وأخيراً، توقّفتُ.

فكّرتُ في نفسي قائلاً: "كيف لي أن أكونَ لوحدي؟ لا يُمكنُ أن أكونَ قد ضَلَلْتُ لأنني أتبعُ مَجْرى الماء."

انحنيتُ لأغمِسَ يديَّ ووجهي في ماءِ النهر. فتفاجَأْتُ حين تبيَّنَ لي أنني أقِفُ على غرانيت قاسٍ وجاف. وكان مجرى الماء قد اختفى. ما من كلماتٍ يمكِنُ أن تعبِّرَ عمّا شعرْتُ به في تلك اللحظةِ.

بكيتُ قائلاً : "لقد دُفِنْتُ حيّاً! وسأموتُ من الجوعِ والعَطَش."

لمسْتُ الصخورَ الجافَّةَ مرّةً أخرى. لمَ لمْ ألاحِظْ عندما عُدْتُ أدراجي أنّ الأرضَ أصبحت جافّة؟ لا بدّ من أنّ الطريق تفترقُ عند

تلك النقطة! كيف لي أن أعودَ إلى هناك الآن؟ ما من آثارِ أقدامٍ على الأرضِ الصّلْبَة.

كنتُ ضائعاً.

بدأتُ أفكِّرُ بغروبين ثمّ بأمّي التي كانت قد تُوفّيَتْ عندما كنتُ يافعاً جداً. ركَعْتُ لأصلّي للحظةٍ. وأخيراً، وقفْتُ وقلتُ في نفسي: "عليّ أن أجِدَ مجرى الماءِ مجدَّداً. حتّى لو لم أتمكّنْ من إيجاد هانس وعمّي، فقد أتمكّنُ من العودةِ إلى السطحِ. لديّ في قارورَتي من الماءِ ما يكفيني لثلاثةِ أيامٍ."

بدأتُ أعودُ أدراجي في النَّفقِ المنحدِر. لم أتعرَّفْ على شيءٍ في طريقي. وفجأةً وصلْتُ إلى طريقٍ مسدود. وقعْتُ على الأرضِ وأنا



أبكي بيأس. وبدأ نورُ مصباحي الذي تضرَّر من الوقوعِ بالخفوتِ. وأخذتِ الظلالُ تتراقصُ على الجدران، فحدّقتُ بالمصباحِ إلى أن انطفأَ وغرقْتُ في ظلامٍ حالك. عندها، أطلقْتُ صيحةً فظيعةً.

في هذه اللحظةِ، فقدْتُ صوابي. وقفتُ ومَدَدْتُ يديَّ أمامي، محاولاً أن أتحسَّسَ طريقي. ركضتُ نزولاً عبرَ قشرةِ الأرض وأنا أبكي وأصيحُ. أُصِبْتُ ببعضِ الكدماتِ على الصخورِ المُسنّنةِ. وكنتُ أقعُ ثمّ أقفُ مجدَّداً. وبعد عدة ساعاتٍ، وقعتُ على الأرضِ مُتعباً ثمّ فقدتُ الوعي. وعندما استعدتُ وعيي مجدداً، كان وجهي مُبلّلاً بالدموعِ وكنتُ مغطى بالدماءِ. تدحرجْتُ على الأرضِ وتقوْقعْتُ على نفسي مستنداً إلى الحائطِ المقابلِ. وفيما كنتُ أتمنّى أن أموتَ هناك بسرعةٍ، صعقتْ أذنيَّ ضجّةٌ صاخبةٌ كانت كهديرِ الرعد.

بعد سكونٍ طويل، سمعتُ أصواتاً تصْدُرُ من الجهةِ الأخرى من الحائطِ. كان ذلك هانس وعمّي. وإذا كان باستطاعتي أن أسمعَهم فبإمكانهم أن يسْمَعوني أيضاً.

صرخْتُ بكلّ قوّتي : "النجدة! النجدة!"

انتظرتُ جواباً. لكنّني لم أسمعْ شيئاً. أصغيْتُ مجدداً. وأطبقْتُ أذني على الحائطِ فبدا الصوتُ أوضح.

قلتُ في نفسي : "هذا الحائط من الغرانيتِ الصلبِ، لا يمكِنُ أن يخرقَه أيّ صوت. هذه الضجةُ آتيةٌ من النفقِ نفسِه."

أصْغَيْتُ مجدداً. وهذه المرّة سمعتُ اسمي.

ففكّرتُ : "عليّ أن أتكلّمَ بمحاذاةِ الحائطِ ليسمعوني." واقتربتُ من الحائطِ.

قلتُ بأكثرِ وضوحٍ مُمكن : "عمّي ليدنبروك!"

فأجابَ عمّي صائحاً : "أكسل! أكسل! أهذا أنت؟"

قلتُ : "نعم! إنني ضائعٌ في الظلامِ. المصباحُ مكسورٌ وقد اختفى مَجْرى الماء."

قالَ : "آه، لقد بكيتُ لأجلك يا ولدي المسكين. الآن سأقيسُ الوقتَ بين صَيْحتِكِ وإجابَتي لنعلمَ كم نبعدُ عن بعضِنا."

ما إن وصلَني صوتُه حتّى أجبْتُ.

صاحَ : "أربعون ثانية. إذاً استغرقَ الصوتُ عشرين ثانية ليغطّيَ المسافةَ بيننا. الصوتُ يمشي بسرعةِ ألفِ قدمٍ في الثانيةِ تقريباً. إذاً تفصلُنا حوالى أربعةُ أميال."

سألْتُ : "هل عليّ أن أصعدَ أو أن أنزِلَ؟"

قالَ لي : "انزلْ. إننا في كهفٍ ضخمٍ تؤدّي إليه العديد من الأنفاق. الآن قفْ وابدأ بالسَّيرِ يا ولدي."

صحْتُ : "وداعاً يا عمّي! إنني أغادرُ مكاني الآن."

كان الممرُّ شديدَ الانحدارِ فتركْتُ نفسي أنزلِقُ معظمَ الطريق. لكنّ الانحدارَ كان شديداً جداً بحيث كدتُ أقَع. ولم أملِكِ القُوّةَ لكي أقِفَ. فجأةً، اختفتِ الأرضُ من تحت قدميّ. وعندما وقعت، صرتُ أتخبَّطُ على صخورِ النَّفَق. ثمّ اصْطَدَمَ رأسي بصخرةٍ مُسَنَّنة.

ففقَدْتُ الوعي.

الفصل السابع

بحرٌ في جَوْفِ الأرض

عندما استعدتُ وعيي، وَجدتُ نفسي مُمَدَّداً على سجادةٍ سميكة في مكانٍ شبهِ مظلم. ولمّا فتحتُ عينيّ، رأيتُ عمّي يَنْحَني فوقي، ثم أخذ يَدِي وأطلقَ صَيْحة فرحٍ قال:

"إنّه حي! يا ولدي العزيز، إنّك سالم!"

تأثّرتُ عميقاً بالعاطِفَةِ التي كانت في رنّةِ صَوْتِه، وأيضاً بالفَرَحِ الظاهرِ في صوتِ هانس عندما حيّاني.

قلتُ : "والآن يا عمّي، قُلْ لي أين نحن."

قالَ : "غداً يا أكسل، عليك أن تنامَ الآن."

فرجَوْتُه قائلاً : "قُلْ لي على الأقلّ كم الساعة وفي أيّ نهار نحن."

قالَ لي : "إنّها الساعةُ الحاديةَ عشرةَ ليلاً واليوم هو نهار الأحد في التاسع من آب/أغسطس."

أغمَضْتُ عينيّ وسمحتُ لنفسي أن أغرقَ في النوم. وفي الصباح، عندما استيقظْتُ، حدّقتُ من حولي باندهاش. فقد كنتُ في كهفٍ كبيرٍ مزيّنٍ بالدَّوالي البلوريّة ومفروشٍ برمالٍ ناعمة. كان هناك القليلُ من الضوء.

فكّرتُ في نفسي : "ما من مصباحٍ يشتعلُ، لكن يبدو أنّ هناك نوراً ينبَعِثُ من مكانٍ ما. وأنا أكيد من أنني أستطيعُ أن أسمعَ عَصْفَ الرياح وصوتَ الماء."

قَدِمَ عمّي إليّ وقال بفَرَح : "صباح الخير يا أكسل، أرى أنّك تشعر بتحسّن."

فأجبتُه وأنا أجلس : "نعم. الآن أخبِرْني بما حصَل."

قال عمّي : "إنّها معجزةٌ أنّك لم تُقتَلْ. فقد وقعْتَ في قَعْرِ بئرٍ مع العديدِ من الصخورِ الكبيرة. وكان بإمكان أيّ منها أن تسحَقك."

فسألتُه : "هل تضرّر دماغي؟ إنني أسمعُ صوتَ الريحِ والبحر."

قالَ : "سأريك، لكنني أريدُكَ أن تشعُرَ بالتَّحَسُّنِ أوّلاً. أعتقِدُ أنّ رحلتنا ستكونُ طويلة."

سألتُه : "رحلتُنا؟"

فأجابَ : "نعم. استرحِ اليوم وسنُبحِرُ غداً."

صحْتُ : "نُبحِر؟ لكن هذا يعني أن هناك نهراً أو بحيرة أو بحراً في الخارج! يجب أن أراه فوراً!"

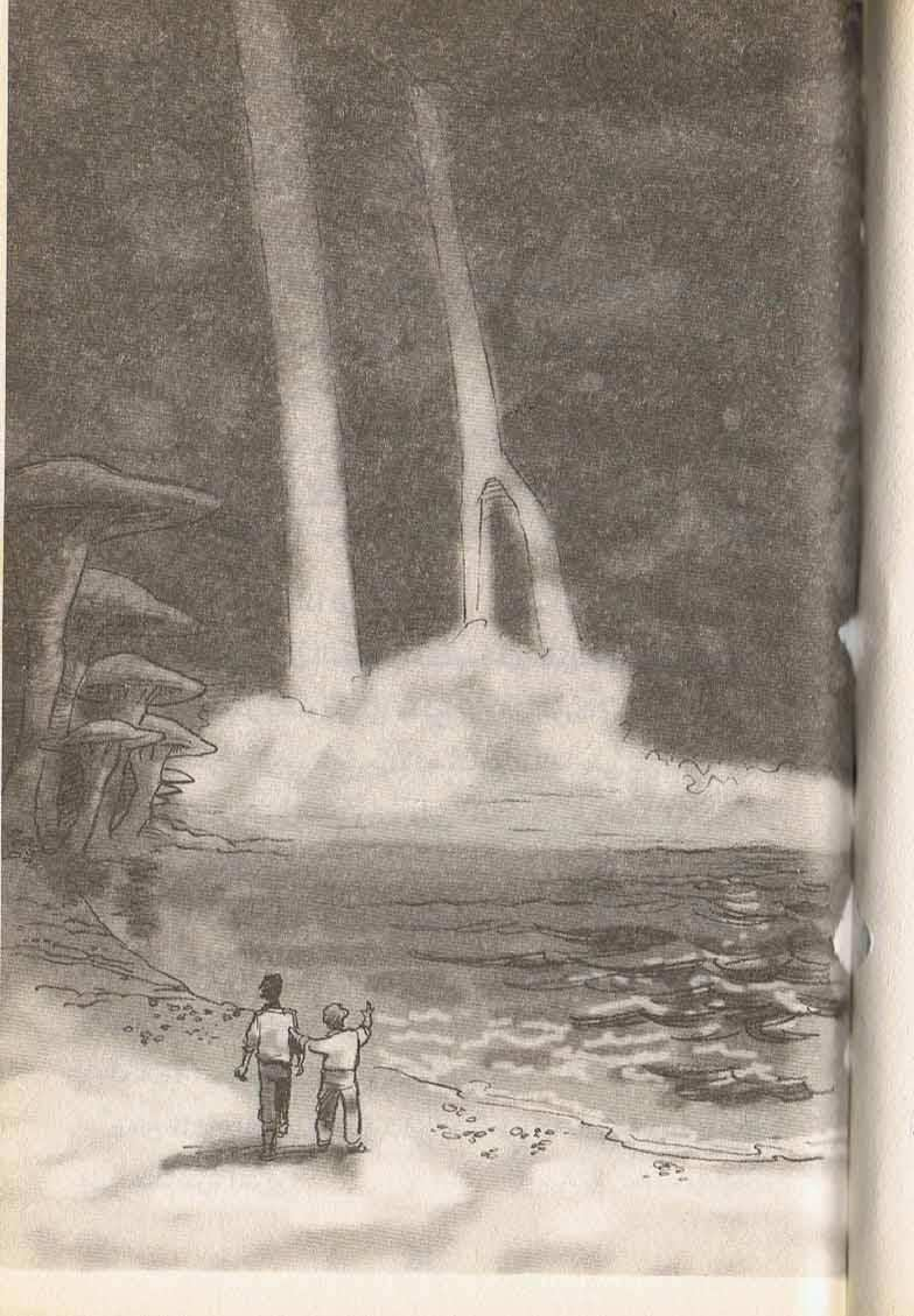
أَذْعَنَ عمّي لرَغْبَتِي واصطحبَني إلى خارجِ الكهفِ. لم أرَ شيئاً في بادئِ الأمر. فلم تكُن عيناي قد اعتادتا على النور بعد. وبعد بضع دقائق، تمكّنتُ من الرؤيةِ بصورةٍ أوضح. كانت صفحةُ الماء تمتدُّ على مدى النظر. وكان على حافّتِها شاطئٌ من الرملِ الذهبيّ الناعمِ. ومن هذا الشاطئ القليل الانحدار كانت تعْلُو قِمَمٌ شاهقة.

صِحْتُ بفرح : "البحر!"

فابتسمَ عمّي قائلاً : "لقد أعطيتُه اسمي "الليدنبروك."

قلتُ : "الضوءُ مُختلِف. هذا ليسَ ضوءُ الشمسِ أو القمر، فليس فيه أيّ دِفء."

أومأ عمّي وقالَ : "نعم يا أكسل. إننا داخلَ كهفٍ كبيرٍ جداً لدرجة



أنه يحتوي على بحر. لا بدّ من أنّ ارتفاعَه يبلغُ عدّةَ أميالٍ. ويرتكزُ سقفُه على هِضاب الغرانيت التي نراها هناك."

نظرتُ إلى هذه الأعجوبةِ بصَمْتٍ، وأنا عاجزٌ عن إيجادِ الكلماتِ التي تعبِّرُ عن مَشاعِري.

فكّرتُ : "أشعرُ وكأنّي على كَوْكَبٍ آخر."

أمْسَكَ عَمِّي بذراعي وصِرْنا نمشي على طول الشاطئ. إلى يَسارِنا، كانتِ الشلاّلاتُ تتدفّقُ على الهضاب. وعَلِمْنا من بعضِ سُحُبِ البخارِ الخفيفِ القليلةِ التي كانت تنتقلُ من صخرةٍ إلى أخرى أنّه يوجدُ ينابيع حارّة. وكانت تنتصبُ أمامَنا آلافُ الأشجار التي يصِلُ ارتفاعُها إلى ثلاثين قدماً أو أربعين، ولم تكُنْ تتحرّك رغم هبوب الريح.

ضحك عمّي لمّا اقتربنا منها وقال : "إنّها غابةٌ من الفُطْر العملاق!"

مشينا في هذه الغابة الرَّطْبة واللَّحيمة. وسُررنا عندما بلغنا الجهةَ الأخرى. فوجدنا هناك نباتاتٍ ضخمة من الخنشار والصبّار.

صاحَ عمّي : "مُدهش! هذه هي نباتات الحدائق المتواضعة الخاصّة بنا، ولكن في مرحلة أقدم عندما كانت أشجاراً! يا لها من مُتعةٍ للنظر!"

ثم قال وهو ينظُرُ إلى الأسفل، "قد يكونُ هناك حيواناتٌ أيضاً. هناك عِظامٌ متوزِّعَةٌ في كلِّ الأرجاءِ."

تفحّصتُ الهياكل العظمية وقلتُ لعمّي : "إنني لا أفهم. الحياةُ الحيوانيةُ لم تُخلقْ على الأرضِ إلاّ عند وجودِ تُربةٍ على سَطحِها."

قال عمّي : "حسناً يا أكسل. هناك إجابةٌ بسيطةٌ جداً. هذه هي تربة."

صرختُ : "ماذا! ثمانية وثمانون ميلاً تحتَ سطحِ الأرض؟"

قالَ : "أجل، منذ زمنٍ بعيد، كانت قشرةُ الأرضِ مطّاطيةً جداً وكانت تتحرّكُ إلى الأعلى والأسفل. بهذا الشكل انتقل بعضُ التُربةِ السطحيَّةِ إلى أسفلِ الشقوقِ التي كانت تنفتحُ فجأةً."

سألتُ : "ماذا يوجدُ فوقَنا يا عمّي؟"

تفحّصَ دفترَ الملاحظاتِ وقالَ : "إننا نبعدُ ثمان مئة وخمسة وسبعين ميلاً عن آيسْلندا. إنّ جبالَ اسكوتلندا تقعُ فوقَ رؤوسِنا الآن."

بدأتُ أتساءلُ : "ماذا لو...؟"

فضحِكَ قائلاً : "إنّ السطحَ صُلبٌ بما فيه الكفايةِ ليحملَها."

سألتُ : "أتفكّرُ بالعودةِ إلى سطحِ الأرضِ قريباً؟"

صاحَ عمّي : "العودة! طبعاً لا! سنُتابعُ طالما بقيَ كلُّ شيءٍ يسيرُ على ما يُرام. فجميعُ المحيطاتِ على السطحِ هي في الحقيقةِ بُحيرات بما أنّها مُحاطَةٌ باليابسة. وما مِن سببٍ حتى لا يكونَ الأمرُ مُماثلاً هنا. أنا واثِقٌ من أننا سنَجِدُ أنفاقاً جديدة على الشاطئ المقابلِ. والآن علينا أن نُبحِرَ. إنّ هانس قد انكبَّ فعلاً على بناءِ طَوْفٍ."

همسْتُ : "كم يبلغُ عرضُ البحرِ برأيكَ؟"

أجابَ : " حوالى ثمانين أو مئة ميل."

غصَّ قلبي. لقد كان عمّي على خطأ في ما مضى. ماذا لو كان على خطأ مرّةً أخرى؟

الفصل الثامن

معركةُ الوحوشِ

أبْحَرْنا في صباحِ اليوم التالي. وفيما كنّا نُغادِرُ المرفأ الصغير، أمسكَ عمّي ذراعي وقال:

"سندعوه مرفأ أكسل."

قلتُ : "لديّ اسمٌ أفضلُ له. مرفأ غروبين."

كانَ البحرُ الواسِعُ يمتدُّ أمامَ ناظِريّ. وفيما كانَ الشاطئُ يتلاشى بعيداً عن أنظارِنا، بدأتُ أكتبُ يومياتِ رحلتِنا.

الجمعة 14 آب/أغسطس

الطقسُ جميلٌ ودافئ. اصطادَ هانس سمكةً، سمكة لا نجدُها اليوم على سطحِ الأرضِ سوى في الأحافير.

السبت 15 آب/أغسطس

عمّي ليدنبروك قلقٌ. البحرُ أعرضُ ممّا توقّعَ. هل سلَكْنا الاتجاهَ الخاطئَ مرّةً أخرى؟

الأحد 16 آب/أغسطس

ربطَ هانس أحدَ أثقلِ الفؤوسِ التي بحَوْزتِه بحبْلٍ وأنزلَها في الماءِ لمعرفة عُمْقِها. وكان من الصَّعْبِ أن نرفعَها. لاحظْتُ آثاراً غريبةً على المَعْدِنِ – تُشبِه علاماتِ الأسنان! هل هي أسنانُ أحدِ وُحوشِ ما قَبْلَ التاريخ؟

الاثنين 17 آب/أغسطس

حاولتُ اليومَ أن أتذكّرَ الوحوشَ التي سادتْ على الأرضِ في العَصْرِ الجوراسي، قبل ظُهورِ الثديِيّات. لم يَرَ الإنسانُ أيّاً منها وهي حيَّة، لكنني رأيتُ هياكِلَها في أحد المَتاحِف. وكان طولُ أحدِها يبلغُ ثلاثين قَدَماً!

نظرْتُ برُعْبٍ إلى البحرِ. تفحّصتُ المسدساتِ ووجدتُها في حالةٍ جيدة. كان سطحُ الماءِ يتحركُ. الخطرُ داهِمٌ.

الثلاثاء 18 آب/أغسطس

غرِقْتُ في النومِ عندما كان هانس يقومُ بالحِراسةِ. بعد ساعتين، أيقظتني صَدْمةٌ عنيفة. فقد ارتفعَ الطَّوْفُ خارجَ الماءِ وقُذِفَ في الهواءِ. وفيما كنّا نهبطُ، رأينا أشكالاً داكنةً ضَخْمةً في البعيدِ تنفخُ الماءَ عالياً في الهواءِ. ذُعِرْنا من هذا القطيعِ من الوحوشِ البَحْرِيَّةِ الضَخْمةِ. وكان بإمكانِ أصْغرِها أن يكْسِرَ الطَّوْفَ بنَهْشةٍ واحدةٍ من فكِّه.

أرادَ هانس أن يستديرَ وأن يُجذِّفَ بعيداً عنها. لكننا رأينا وُحوشاً أخرى في الاتجاهِ المُعاكِس أيضاً. وأصبحنا عالِقين بينها في الوسط.

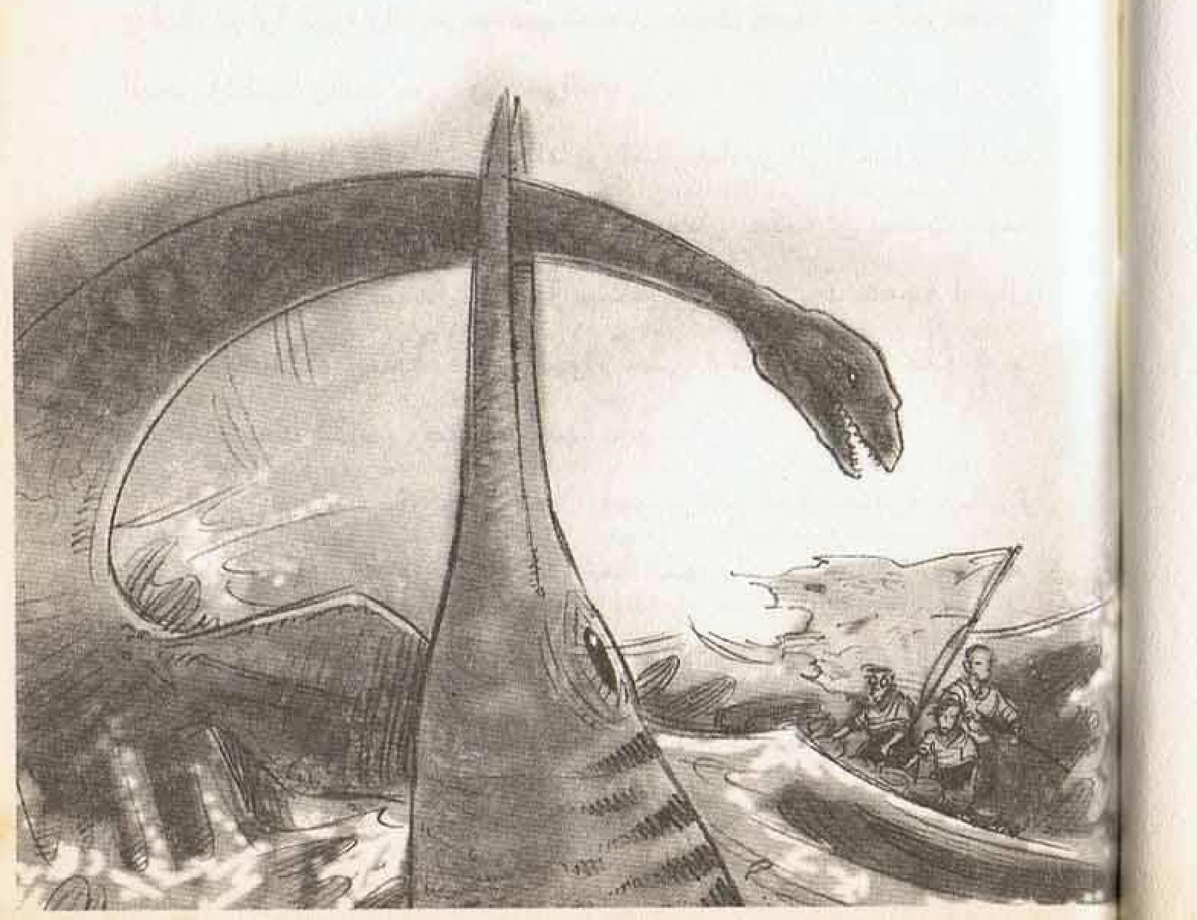
فيما كانتِ الوحوشُ تقْتربُ منّا، كانت تُحرِّكُ الطَّوْفَ بسرعةٍ كبيرةٍ في دوائرَ تصغُر شيئاً فشيئاً. وانعقدتْ ألسِنتُنا من الخوفِ. فالتقطْتُ بندقيتي مُستعدّاً لإطلاقِ النارِ عليها، لكنّ هانس هزَّ رأسَه معترضاً. مرّتِ الوحوشُ على بعدِ مئة ياردة من الطَّوْفِ وارتمَت على بعضِها البعضِ بعُنْفٍ شديدٍ فلم تلاحظ وجودنا.

ثم بدأتِ المعركة. التقطَ عمّي مِنظارَه لكي ينظُرَ عن كثَب. ثم صاحَ: "إنهما وَحْشان فقط! للأوّلِ خَطْمُ خنزيرِ البحرِ ورأسُ عَظايةٍ وأسنانُ تمساحٍ. إنّها سمَكُ الدّيناصور!"

سألتُ: "والآخر؟"

أجابَ: "أفْعى لها صدفةُ سلحفاةٍ – أفْعى الدّيناصور."

انقَضَّ هذان الحيوانان على بعضِهما بغضبٍ شديدٍ. وأحدثا في عراكِهما أمواجاً عالية كالجبال. فجأةً، اختفَيا تحت الماء. انتظرنا. ثمّ اندفعَ رأسُ أفعى الدّيناصور من الماءِ، هو يتلوّى من عنقِه وينزفُ، ضارباً الأمواجَ كأنه يجلِدُها بعنف. وسُرعانَ ما امتدَّ جسَدُه فوق الماءِ الهادئ. لم يكُن بإمكاننا أن نرى سمَكَ الدّيناصور. هل ستعودُ لمُهاجمَتنا؟



الفصل التاسع

العاصفة

الأربعاء 19 آب/أغسطس

ساعَدَنا هبوبُ ريحٍ شديدة على الابتعادِ بسرعةٍ عن موقعِ معركةِ البارحة.

الخميس 20 آب/أغسطس

اليوم هناك خطرٌ جديدٌ. بإمكاننا أن نسمعَ خريراً صاخباً على مسافةٍ منّا وأخشى أن يكونَ شلّالاً كبيراً. لكنّ هذا الكمّ من الماءِ يُحدِثُ تيّاراً قوياً والبحرُ هادئ تماماً. رَمَيْتُ قِنّينة ماءٍ فارغةً في البحرِ ولكنها رقدَتْ من دونِ حراكٍ...

في الساعةِ الرابعةِ من بعدِ الظهرِ، أشارَ هانس إلى الجنوبِ. كانت نافورةٌ من الماءِ ترتفعُ في الهواءِ. أيّ وحشٍ يمكنُه أن يُحدِث شيئاً كهذا؟ مع حلولِ الساعةِ الثامنةِ مساءً، كُنّا على بُعدِ خمسةِ أميالٍ فقط من المياهِ المتدفقةِ في الهواء حتى ارتفاعِ خمس مئةِ قدمٍ. فجأةً، ضَحِكَ هانس وصاح : "إنها نَبْعٌ حارٌ!"

والنبعُ الحارّ منظرٌ رائعٌ فِعلاً. فهو يرتَفِعُ فوق جزيرةٍ صغيرةٍ ويَتلألأُ كقوْسِ قُزَحٍ فيما تختلِطُ أشعةُ الكهرباءِ مع الماءِ.

الجمعة 21 آب/أغسطس

الغيومُ السوداء تُحيطُ بنا. والجوُّ مشحونٌ جدًّا بالكهرباءِ حتّى إنّ

شعري قد انتصَبَ. هدأتِ الرياحُ تماماً لبعضِ الوقتِ. ثمّ فجأةً، هبَّتْ بقوّةِ الإعصارِ فكنتُ لا أكادُ أستطيعُ أن أكتُبَ. ارتفَعَ الطّوْفُ في الهواءِ، وانتفَخَ الشراعُ كفقّاعةٍ على وشكِ أن تنفجِر...

هطَلَ المطرُ أمامَنا كالشّلال. وأصبحَ البحرُ هائجاً فيما اختلطَتْ أضواءُ البرقِ مع هديرِ الرعدِ. انْهمَرَتْ علينا حبّاتُ البَرَدِ. وسبّب لي الضوءُ الساطعُ دُواراً كما أصمّني صوتُ الرعدِ. تشبّثتُ بساريةِ المركبِ التي انعقفَتْ كالقصَبةِ وسطَ هذه العاصفةِ الهَوْجاء.

الأحد 23 آب/أغسطس

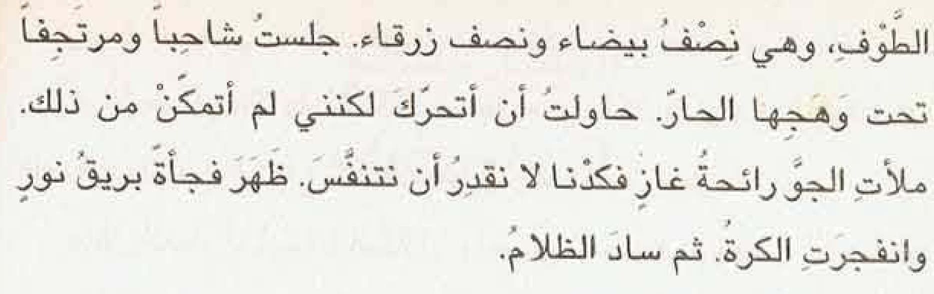
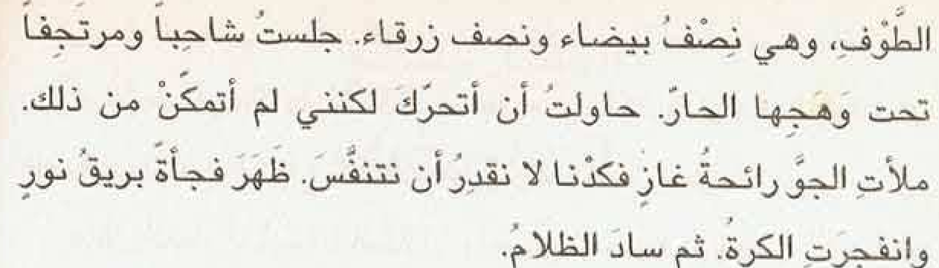
أين نحن؟ كانتِ الليلةُ الفائتةُ رهيبةً ولم تهدأ العاصفةُ بعد. الضوضاءُ صاخِبةٌ لدرجةِ أننا لا نستطيعُ أن نتحدّث. هناك خطوطٌ متعرِّجةٌ من البرقِ ترتمي أمامَنا ثم ترتفِعُ بسرعةٍ إلى سقفِ الغرانيت. الطقس يزدادُ حرّاً.

الاثنين 24 آب/أغسطس

هل سينتهي كلُّ هذا؟ إننا منهكون تماماً لكنّ هانس ظلَّ محافِظاً على هدوئه. لا يزالُ الطّوْفُ يتّجِهُ إلى الجنوبِ الغربيّ وقد ابتعدْنا أكثر من خمس مئة ميلٍ عن نبْعِ المياهِ الحارّة.

في منتصفِ النهار، اشتدّتِ العاصفةُ واضطرِرْنا إلى ربطِ كلٍّ ما معنا إلى الطّوْفِ، بما فيه أنفسِنا. فجأةً، اتّجهَتْ نحونا كرةٌ من النار. واختفَتِ الساريةُ والشِّراعُ معاً وارتفعا في الهواءِ وكأنهما طيرٌ من عصْرِ ما قبلِ التاريخ.

تَسمَّرْنا من الخَوْفِ فيما كانتِ الكرةُ الناريّةُ تتّجهُ ببطءٍ نحو

الطَّوْف، وهي نِصْفُ بيضاء ونصف زرقاء. جلستُ شاحِباً ومرتَجِفاً تحت وَهَجِها الحارّ. حاولتُ أن أتحرّكَ لكنني لم أتمكّنْ من ذلك. ملأتِ الجوَّ رائحةُ غازٍ فكدْنا لا نقدرُ أن نتنفَّسَ. ظَهَرَ فجأةً بريقُ نورٍ وانفجرَتِ الكرةُ. ثم سادَ الظلامُ.



الثلاثاء 25 آب/أغسطس

فتحتُ عينيّ للتوّ. لا تزالُ العاصِفةُ قويّةً. إنني أسمعُ صوتاً جديداً! أظنُّ أنّه صوتُ مَوْجِ البحرِ يتكسَّرُ على الصخورِ! لكن...

انتهتْ يومياتي عند هذا الحدّ.

عندما اصطَدمَ الطَّوْفُ بالصُّخورِ، أتذكّرُ أنني قُذِفتُ في البحرِ. ولو لم يَحْمِلني هانس إلى الشاطئ لكنت قد تحوَّلتُ إلى أشلاء. وجدتُ نفسي مُسْتلقِياً هناك بالقربِ من عمّي. واستغرقنا جميعاً في نَوْمٍ عميق.

في اليومِ التالي، كان الطقسُ رائعاً. وكان عمّي في مزاجٍ مَرِحٍ، فابتسَمَ لي وقالَ: "لقد وصلْنا يا ولدي!"

فسألتُه مُفْعَماً بالأمَل: "إلى نهايةِ رحلتنا؟"

أجابَ: "لا، إلى نهايةِ البحرِ. الآن يُمكنُنا أن نغوصَ في أعماقِ الأرضِ مجدَّداً."

فهمَسْتُ قائلاً: "لكن يا عمّي ماذا عن رحلةِ العَوْدة؟"

فأجابَ: "الأمرُ بسيطٌ! عندما نصِلُ إلى مَرْكَزِ الأرض، سنجِدُ طريقاً جديداً يعيدُنا إلى السطحِ. وإذا لم نفعَلْ، فسنعودُ من الطريقِ التي أتيْنا منها."

كان هانس قد فرش كلَّ مُمتلكاتِنا على الرمال.

قلتُ: "لدينا من البسكويت واللّحم المُملّح والماء والسمكِ المُجفّفِ ما يكفي لأربعةِ أشهُر."

صاحَ عمّي: "أربعة أشهر! لدينا الوقت للوُصولُ إلى هناك ثمّ العودة إلى هنا! وسأستَضيفُ زُملائي في ألمانيا على العشاءِ مع ما يتبقّى."

الفصل العاشر

عبر البُركان

قالَ عمّي مُعلِناً : "سنرحلُ في الصَّباحِ! وحتى ذلك الحين، سنستطلعُ هذا القسمَ من الشاطئ بينما يقومُ هانس بتَحْضِير الطَّوْف."

مشينا معاً بمحاذاةِ شاطئِ بحرِ ليدنبروك. فجأةً، وعلى بُعدِ حوالى الميل، وصلْنا إلى سَهْلٍ مغطّى بأكوامٍ ضَخْمةٍ من العظام. وكانت تبدو وكأنّها مقبرةٌ كبيرة. إنّها مجموعةٌ رائعةٌ من كلِّ الحيواناتِ والبشرِ مما قبلَ التاريخ التي يعرفُها الإنسان. فجأةً، توقفتُ وهَمَسْت:

"هناك حيواناتٌ تتحرّك."

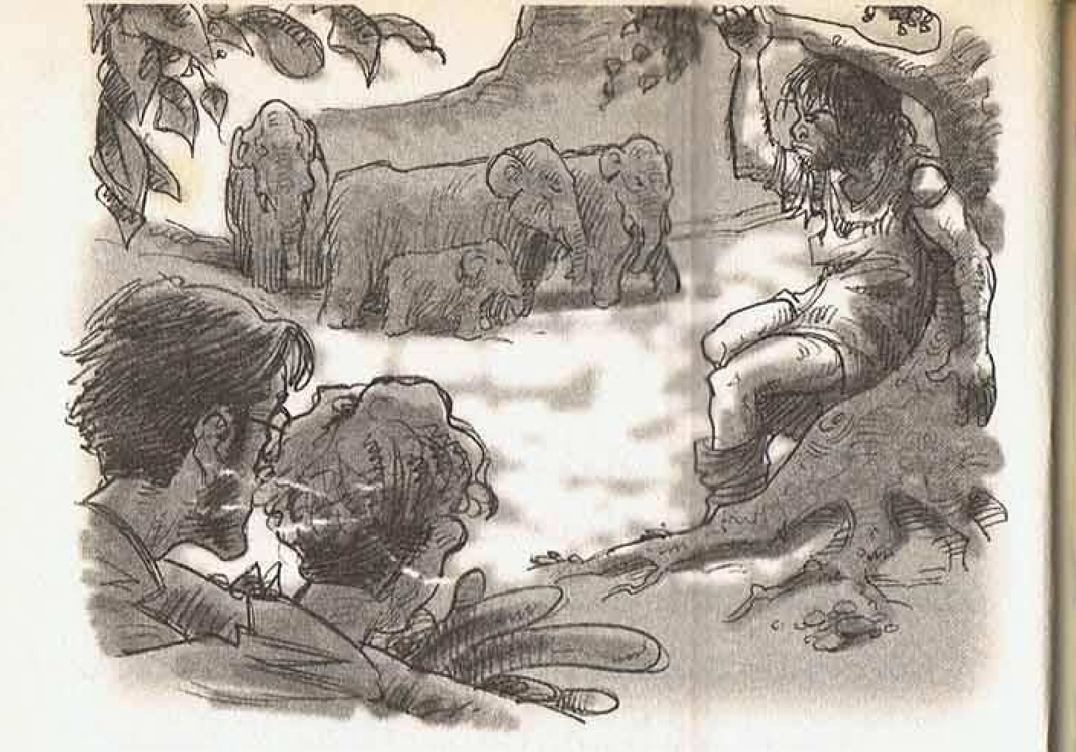
أجابَ عمّي وقد بدَتِ الدهْشَةُ على وجهه : "إنّها الأفيالُ العِمْلاقة! وهي تُشبهُ أفيالَ الماموث لكنّها تملِكُ أنياباً مختلفة. علينا أن نقترب."

هززتُ رأسي رافِضاً وقلتُ : "إنّ ذلك ليس مأموناً للبشر."

قالَ : "إنّكَ على خطأ يا أكسل. يُمكِنُني أن أرى رجلاً يتكِئ على إحدى الأشجار."

نظرتُ إلى حيث كان يُشيرُ. فإذا برَجُلٍ يتعدّى طولُه الاثنَيْ عشرَ قدماً. كان رأسُه كبيراً كرأسِ الجاموسِ ويُغَطّيه شعرُه المتدلّي ويحملُ غصناً ضَخْماً فيما يراقبُ حيواناته.

صِحْتُ لعمّي : "هيّا! اركضْ!"



وللمرّةِ الأولى في حياتِه، أطاعَني. غادَرْنا الغابةَ وقد غمرَتْنا الدهشةُ ممّا شاهدْناه. هل كانَ هذا المخلوقُ فعلاً رجلاً أم مُجرّدَ حيوانٍ يُشبِه الإنسان؟ لم نكُن نعلمُ.

فيما كُنّا نسيرُ، رأيتُ شيئاً يلمعُ في الرمال. فركضْتُ لألتقطه. صِحْتُ وأنا أرفعُه ليراهُ عمّي: "إنّه خنْجَر!"

نظَرَ عمّي إليه وقالَ بشيءٍ من الحَماسة: "أكسل، هذا الخِنْجَرُ هو من النوعِ الذي كانَ الناسُ يَحملونَه في القرنِ السادس عشر. وتُظهرُ العلاماتُ على الشفرةِ أنّه قد استُعمِلَ للحفْرِ في الصَّخْر. فلنُلْقِ نظرةً من حولِنا."

فتّشْنا في أسفلِ الجبالِ ووصلْنا إلى مكانٍ يُصبحُ فيه الشاطئُ ضَيِّقاً. ولمَحْنا مَدخلَ نَفقٍ مُظْلِمٍ بين صخرتيْن. وهناك، على صُفّاحةٍ من الغرانيت، حُفِر حرفان : أ.س.

صاحَ عمّي : "آرني ساكنوسيم!"

وقفتُ مسمَّراً من الدهشةِ. لم يكُن من شكٍّ الآن. فالرجلُ الذي ترك تلكَ الكتابة الغريبة كان موجوداً فعْلاً وقامَ بهذه الرِّحلة. نَسِيتُ كلَّ المخاطِرِ التي واجَهْناها. وصِحْتُ متحمِّساً ومُندفِعاً إلى النفق: "إلى الأمام!"

فَضحِكَ عمّي وقالَ : "دَعْنا نَجلِبُ هانس والطَّوْفَ أولاً."

كانتِ الساعةُ السادسةَ مساءً عندما وقفْنا جميعنا داخلَ النفقِ. لكنّنا سُرعان ما وجدْنا أنّ طريقنا مسدودةٌ بصَخْرةٍ ضَخْمةٍ كانت قد وُضِعَت هناك دونَ شكٍّ بعد زيارةِ ساكنوسيم بفترةٍ طويلة.

صِحْتُ : "لا يُمكننا أن نعودَ الآن! سوف أفجِّرُ الصَّخْرةَ."

قمْنا بحفرِ ثُقْبٍ في الصَّخرةِ وملأتُها بالبارودِ قبل أن أنامَ. حتّى هذه اللحظة، لا يمكِنُني أن أفكِّرَ باليومِ التالي، السابع عشر من آب/أغسطس، دون أن يمتلئَ قلبي بالرُّعبِ. في ذلك الصباح، أشْعَلتُ فتيلةَ البارودِ التي كانت تصِلُ إلى داخلِ النفقِ وركضْتُ لأنضمَّ إلى هانس وعمّي اللذيْن كانا بانتظاري على الطَّوْفِ.

عندما انفجرَتِ الصَّخرةُ داخلَ النفقِ، رأيتُ فُتحةً كبيرةً أمامَنا. شعرْتُ بالطَّوْفِ يتحرّكُ وسمعْتُ صوتَ خريرِ مياهٍ فيما حملَتْنا موجَةٌ عاليةٌ إلى داخلِ الشقِّ. انطلقْنا إلى الداخلِ وسَطَ ظلامٍ حالكٍ في بادئِ الأمرِ، ثمّ تمكّنَ هانس من إضاءةِ شَمْعة. كان بإمكانِنا أن نرى أننا داخلَ قناةٍ واسعةٍ.

قالَ عمّي : "لا بدّ من أنّ ساكنوسيم مرَّ من هنا."

تمسّكْنا بشِراعِ الطَّوْفِ. كان مُعظمُ طعامِنا وحِبالِنا قد انزلقَ

منا. فجأةً، رفَّ لهبُ الشمعةِ فانطفأت. فأغلقتُ عينيّ كالطفلِ لأتحاشَى الخطَرَ والظَّلامَ. وبعد وقتٍ طويلٍ جداً، حلَّ السكونُ مكانَ الخريرِ.

صرخَ عمّي : "إننا نصْعَدُ الآنَ! المصباحَ! أضِيءِ المصباحَ!" وفي الضوءِ الخافتِ، أدركْنا أننا في قناةٍ ضيقةٍ يبلغُ عرضُها حوالى العشرين قدماً.

فسَّرَ عمّي قائلاً : "لقد وصلتِ المياهُ إلى قَعْرِ الهُوّة. وهي الآن ترتَفِعُ وتأخذُنا معها."

سألتُ : "إلى أين؟" لكنّه لم يكُنْ يملِكُ الإجابة.

كنا نَصْعَدُ بسرعةٍ وكان الحرّ يشتدُّ. فصِحْتُ : "إنَّ الماءَ تحتنا يغلي!" كان بإمكاني أن أسمعَ على مَقْرُبةٍ منّا أصواتاً صاخبةً وهدْهداتٍ كهديرِ الرعْد. صرختُ : "عمّي! سنموتُ جميعنا!"

أجابَ : "إننا في فُوّهة بُركانٍ يا أكسل. وهذا أفضل ما يُمكِنُ أن يحصلَ لنا."

صِحْتُ : "ماذا! إننا في مَسارِ حُمَمٍ مشتعِلةٍ وصخورٍ ذائبةٍ ومياهٍ غاليةٍ! سوف نُقذَفُ في الهواءِ مع رمادٍ حارٍّ في زَوْبعةٍ من اللّهبِ – وتقولُ إن هذا هو أفضلُ ما يمكنُ أن يحصلَ لنا!"

أجابَ وهو ينظرُ إليّ من فوق طَرفِ نَظّارتِه : "نعم. إنّها الطريقةُ الوحيدةُ التي يمكِنُنا أن نَعودَ بها إلى سَطْحِ الأرض."

استمرّينا بالصُّعودِ طيلةَ الليلِ. ومع حلولِ الصباحِ، ارتفعَتِ درجَةُ الحرارةِ. كانتِ المياهُ قد اختفتْ والطَّوْفُ يرقدُ على الحُمَمِ التي بردَتْ بفِعلِ الهواءِ أثناء ارتِفاعِنا السَّريع. وساعةً تلوَ الأخرى، كان

الطَّوْفُ يتوقَّفُ ويدورُ ويرتَفِعُ. ولو لم يُمسِكْني هانس، لتحطّمَتْ جُمجُمتي على الصُّخورِ. لا أتذكّرُ إلا القليلَ عن الساعاتِ الأخيرةِ باستثناءِ أصواتِ الانفجاراتِ وسُرعةِ طَوْفِنا في الدوران والدوران. ارتعدْتُ وألقيتُ نظرةً على وجهِ هانس والنار من حولنا.

ثمّ أغلقتُ عينيّ وانتظرتُ الموتَ.

عُدْنا إلى سَطْحِ الأرضِ في إيطاليا، عبرَ انفجارِ بركانٍ في جزيرةِ سترومبولي. وكتَبَ عمّي قصّةَ رحلتِنا وجعلَه كتابُه مشهوراً. فأصبحَ أسعدَ العلماءِ، أمّا أنا فأصْبَحْتُ أسعدَ الرجالِ – عندما تزوّجْتُ من غروبين العزيزةِ.



أروع القصص العالمية

رحلة إلى باطن الأرض

أكاديميا